



الفروع وو وكا و دو نا نش من الاثنين يلي

يب بب ب ب نب ثب ب نا ميبي من البين نبين

تت نت ت ت نت تت نا نتتن من التين تنتن

ثث نث ث ث نث ث ث نا نثن من الثنين ثنثن

اللهم اغفرلنا ولوالدينا ولوالدي والدينا ولمن وجب حقه علينا ولمن وصينا بالدعاء ولجميع المؤمنين والمؤمنات

بسم الله الرحمن الرحيم

قد اشتمل كتاب الحقايق ...

الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وعليه توكلي الحمد لله الذي نوّر قلوبنا
بنور الايمان وعرّفنا اسرار الحديث والقرآن والصلوة على محمد سيد المرسلين و
على آله الطيبين الطاهرين المعصومين اما بعد فيقول الفقير الى الله
محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايّده الله انّي اذكر بعون الله تع في هذا الكتاب
اسرار الدين ما ينتفع به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين
وانما اخذته من كتاب الله وسنة سيد المرسلين واحاديث ائمة المعصومين
واضفت اليه ما وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون لمبانيه وتفسير المعانيه
بتقرير انيق ومزيد منيق مؤثرا للفوائد مخليا سبيل الزوائد وسميته بالحقائق
ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التأييد

المقالة الاولى في الاصول وفيها ثلثة ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان السبب
الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو
العلم قال الله سبحانه وهو الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
قائما بالقسط وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال بل هو آيات بينات في صدور الذين
والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وفي الحديث النبوي ص العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي
قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي ويروون حديثي
وسنتي وفي الحديث العلوي ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان
طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون لكم قد
قسمه عادل بينكم وقد ضمنه لكم وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله
وعن السجاد ع لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك

المهج وخوض اللجج وعن الباقر ع عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق
ع من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا ع عن آبائه عن النبي ص انه قال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة
وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة الى الله تع لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة والمؤنس
في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء
والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تع به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب
الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم ويستغفر لهم
كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حياة
القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف
يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة
والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب وبه يعبد
وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء
ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله تع منه حظه والاخبار في فضيلة العلم
وشرفه اكثر من ان تحصى

فصل اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم
الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته
اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته
فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا
ان الله تع يسّر الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته كاللذات
والذي يطلب لذاته ولغيره كسلامة البدن فان سلامة البدن مطلوبة من حيث
السلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا
الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته

وسيلة الى الله سعادات الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليها الا به
واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية والقرب من الله وافضل الاشياء
ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم
بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف
لا وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب
العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة الملا الاعلى هذا في الاخرة واما في
الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء
الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم
بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز
الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف
مراتبها فتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى بحقيقة
اليقين التي هي اصل كل معرفة راسخة قال الصادق ع لو علم الناس ما في فضل معرفة
الله ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت
دنياهم اقل عندهم مما يطئونه بارجلهم ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ
من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس
من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور في كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم
ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير ويضيق عليهم الارض
برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا
اذى بما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسلوا ربكم درجاتهم و
اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم

فصل

العلم علمان علم الدنيا وعلم
الاخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وعلم الاخرة
علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود
لذاته فان اريد به الدنيا المحض فعلم الدنيا وعلم الاخرة محمود كله واما علم الدنيا

فمنه محمود

فمنه محمود ومنه مذموم اما علم المقصود لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته
من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم
لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى تحصل له المعرفة الحقيقية بذات
الله تعالى سبحانه وبصفاته التامات بعد الاحكام وبافعاله وحكمته في خلق
الدنيا والاخرة ووجه ترتيب الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى
الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملائكة والشياطين
وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية و
صول الوحي الى النبي ص وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت السموات
والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه
ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشياطين ومعرفة الاخرة
والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى ان الدار
الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر
الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره ومعنى حصول السعادة
بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل
الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك
مما يطول تفصيله فان للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق
باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعده الله لعباده
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه
ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها
امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم
ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا
عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى

الا اعتقاد جميع العوام هو انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم
المقصود للاذ ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق اتضاحا في هذه الامور
يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان الا ان مرآة
القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد من تصقيل هذه المرآة
عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وافعاله
وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء والائمة
ع في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه
حقايقه ولا سبيل بذلك الا بالتعلم والمجاهدة والخشية والتقوى والفطنة
والذكاء وهذه العلوم التي لا تسطر في الكتب لا يتحدث بها من انعم الله عليه
منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار
وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي ص بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله ولا
يحمله الا اهل الاعتراف بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله عز
وجل لم يحقره اذ آتاه اياه وعن امير المؤمنين ع انه قال ان من احب عباد
الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح
الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا
هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار
من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه
وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام آخر
ع قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع
كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب
السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار

الامن والراحة

الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال ع اندمجت على مكنون علم لو بحت به
لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة وقال ع تعلمت من رسول الله ص الف باب
من العلم ففتح لي من كل باب الف باب وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال
ع ما لك والحقيقة فقال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن يترشح عليك
ما يطفح مني ثم اجابه عما سال وروى كميل انه ع اخذ بيده فاخرجه الى الجبان
فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها
فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة و
همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا
الى ركن وثيق الى ان قال ها ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره لو اصبت
له حملة بلى اصبت لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا و
مستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة
له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا و
لا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار
ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت
حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا
لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك والله الاقلون عددا
الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم و
يزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك
خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد
ع انه قال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول
الله ص بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب

لايحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال
وانما صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبته الى
العلماء اراد ع اهل البيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت
النسوان والصبيان والاهل والاولاد وفي الحديث النبوي صلعم
ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذر ما في بطن سلمان
من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد ع في ابيات منسوبة اليه
اني لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم
في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح
به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون
دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا وعن الباقر ع الناس كلهم بهائم
الا قليل من المؤمنين اقول وتصديق ذلك قول الله سبحانه ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا و
عن الصادق ع ان امرنا مستور مقنع بالميثاق من هتكه اذله
الله نعم وقال ع امرنا مستور في سر ومستتر وسر لا يفيده الا سر
وسر على سر مقنع بسر وقال ع هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن
الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستتر وسر مقنع بالسر وقال
ع مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية ديني ودين ابائي فمن لا
تقية له لا دين له وقال ع خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم
مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او امتحن الله قلبه للايمان

فصل واما العلم المقصود للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته
فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق
فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء
والتسليم

والتسليم والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا والعفو والاحسان و
حسن الظن وحسن المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص و
معرفة الله في جميع الاحوال ومعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التي تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى
تقوى من علم الاخرة واما ما يذم فكخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد
والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في
الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء و
الاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار
عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والتصلف والملق
والعجب والاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الناس وزوال الحزن
من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل
وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر و
الامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة
والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا
والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والاعانة
منهم على الدين والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الحياء
وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش
ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات
والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا
فبقدر حوصلته لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم بكيفية
العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال
والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربوا والقرض والقراض
والاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهن والضمان والكفالة
والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والفراق
وقسمة المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص وتجهيز الاموات
والعلم باداب الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطيب
والكلام والمواخاة والمباشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو عيني بقدر
الزكاة وفرض كفاية للفتيا والقضاء واما الطريق الى تحصيل العلمين الاخيرين علم الاخلاق
وعلم الشرايع فهو ما نتلو عليك فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون **فصل** اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخر
وان كان يسمى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين قال الله عز
وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وقال الصادق عم لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في
دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا وقال عليه السلام ليت السياط على رؤس اصحابي
حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وقال عم ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض
والمشرق والمغرب فاذا سالته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير ذلك
مما في هذا الغرض فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل الدينية
علمية كانت او عملية باطنية كانت او ظاهرية متعلقة بالعبادات والمعاملات
فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الان بيان كيفية الا التحصيل
فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير في التيه ونحن بتاييد الله
عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب
فنقول ان الناس كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذون العلم
عنه بما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة قالوا بالاجماع الزور في

يقين

تعيين الامام وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء
الفتنة وابتغاء التاويل واختيار المدلول قبل اختلاق الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن
ابي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد
والراي في كل شيء فيتبدل اراؤهم ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى
الانفس وان هم الا يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم
فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من
العلوم الدينية اصولية كانت وفروعية من القوانين التي وضعوها والقواعد
التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات واما مقلدهم
فكيفية التفقه عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة او وسايط
وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع
المحكمات في العقايد والاحكام ووقفوا على ما جلوبه الوحي والتنزيل واتقاء
على ما كاد يفضي الى الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي
طالب عم الذين لا يعولون الا على النصوص بالخصوص في كل شيء مسلمين
لامامهم الاخذ علمه من الله ومن رسوله في كل ما انتهى اليهم في شيء مطيعين
لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث
قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ولما
جار من اجتهاد بعض متاخري اصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم
في المفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في
مسفورات لنا مع احتمال ان يكون ذلك بسبب حدوثه فيهم اولا لمصلحة
داوها وحماية مع مخالفيهم راعوها لئلا يرموا ان دقايق العلم ليست
فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم جرت فيهم ثم سرت في ذويهم وعلى
التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا لالحاقهم بالفرقة

الاولى حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة ببروز محجتهم الالهية
الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم ثقل التقية عن كثير من العباد والبلاد فجزاهم
الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد ونسأله لا الفرقة التابعين
يرجعون الى امامهم فى التفقه حين تيسر لهم ذلك والا فهم صنفان بصير و
مستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة الثالثة خاص وعام وان خالفت
قسمها المجتهد والمقلد فلا مشاحة فى الالفاظ اما بصيرهم فهو الذى
له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد فى الدنيا وورع فى الدين فكيفية
التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات احاديث
اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما
يجب ان يعمل به ويشيد بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ويؤيد
بواردات ترد على ذاته المصفى باعمال الصالحة المرضية وقلبه المنور
بنور اخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى لولاه لما
عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما
يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصير كانهما متحدان وفى الحديث
ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع الانبياء والعابدين
فى فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظنن
ان خواص المؤمنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين
وادلة المجادلين هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من
تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور الخارج
كاجتماع نور العين مع نور الشمس فى الرؤية والى مثل هذا العقل
اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور
يعنى نور العقل والشرع وفى الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور
يقذفه الله فى قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين

لما الحكم

لما الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه الامر
عليه الامر وكل علمه الى الله والى امامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط
ولا يفتى فى مثله بالحتم والبت قال الصادق عليه السلام انما امرنا عليكم ان تقولوا
بشئ ما لم تسمعوه منا وقال عليه السلام كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل واشار
بيده الى بيته فلا يخرج من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة
ليقع الاختلاف فيه كقاعدة حجية خبر الواحد وعدم حجيته على الاطلاق
التى لم يتحرر محل النزاع فيه قط ولن يتحرر ابدا وغير ذلك من القوانين المسماة
عند اهلها باصول الفقه بل يطلب فى كل مسئلة ائمته رواية خاصة
يجوز التعويل عليها او دراية فاشية تطمئن النفس اليها ولا يحكم
بالمتشابهة الا بالتشابه لان المحكم فيه وكيف يجوز ان يجعل المتشابه
محكما وقد جعله الله متشابها فلا يبتغى تاويله ولا رده الى احد
الطرفين كما يفعل الذى فى قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه
جعل الامور الثلثة كما ورد فى الحديث النبوى امر بين رشده فيتبع وبين
غيه فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين
فى العلم العالمين بتاويله فكيف يطلب التعيين فيما حكم الله فيه بالتثليث
مع ان فى المتشابه حكما ومصالح امتحن الله بها اضعاف عباده ولا يجمع
بين اخبار المتعارضة الا بما اشار اليه المروى عنهم عليهم السلام من
التفصيل الذى ينتهى الى التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والا
خلاف والقول بالراى والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا راى ولا اجماع
بل ليس معوله الا على الرواية والدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده
ليس الا اتفاق فقهاء الاصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث صار
من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند
الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من

الاجماع كما اشتهر بين طائفة من اهل الخلاف والنزاع وقد اشار الى الكلام الصادق ع في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع بين اصحابك وعلى فان المجمع عليه لاريب فيه واما كونهم منه فكيفية تفقههم ان يأخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسايط الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وادخالهم انفسهم في جملتهم فصارت العوام حايرين وبايرين لا يهتدون الى شي ولا يدرون الاشباه من الحق فالحزم لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفهم اياهم فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلب على ظنه انه منهم ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسامحه له هل هذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في شي منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط وهو مما اجمعوا عليه من غير نص بلغ فيه او نحو ذلك سال عنه حتى يصادف من اجابه من القران والحديث بخصوص ونصوص او اشار له الى الاحتياط والتخيير فان فعل العامي ذلك فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا هو الحق المتين فعن يتقدمان الاماميين وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى بالشيعة والامامية والاثنى عشرية الا الاخذ بذلك فان خرج من هذا الطريق الى شي من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية على وجه وان لم يشعر بذلك ثم لا تظنن ان العلم بصدق هذه نسبة مضمون اخبار المعصومين ص لا بد ان يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة او تواترها كتواتره والا فان اخبار احاد لا تفيد الا ظنا كلا كيف ولو زعمت ذلك فما اراك تستيقن

باعامتهم

العرفة

اصلاح

باعامتهم باعامتهم اوهم

لان قوة علمك ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترهم كتواتره قطعا بل الا انك لم تعرف بعد ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد نور العقل والشرع واعتضاد كل منها الآخر وان في الاحكام الشرعية يكتفي باقل مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما اطمانت اليه النفس من الاخبار يعمل به وكلما لم تسكن اليه فلذره في سنبله روي في الكافي باسناده عن ابي عبد الله ع انه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من يثق به ومنهم من لا يثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله والا فالذي جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه ع قال كل شي مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف وفي عيون الاخبار عن الرضا ع في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب ثم السنة ثم التحير والرد الى رسول الله ص وما لم تجدوه فيه في شي من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم البيان من عندنا وقد وردت في الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار بلغت قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم عليهم السلام في الواقع وهو قول الصادق ع من سمع شيئا من الثواب على شي فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لا راي فيه ولا اجتهاد وقال الصادق ع احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها وقال للمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه ياتي على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم وقال صاحب زماننا ص واما الحوادث

الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم و
بالجملة فما ذهبوا في الاخذ بالاخبار والكتب بالتسليم والاتباع تقليدا وهم لم
يذهبوا في الاخذ بالاراء والاجتهاد بل نهوا عليه فليس لنا الا الاتباع والاقتصار
على السماع من ادعى ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فصل ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان
ان جعل لنا اماما بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا عن اعدائنا الى
ان انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل للاخير بعد غيبته
سفراء الى القريب من تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اوصياء بناقي الملة
الملة المديدة ياخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها معهم على
اطمينان من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقدر قابليتهم ورتبتهم و
منزلتهم فاغنانا الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجانا من
من حيرة الجهال وبعد انقضاء ايام الملة كانوا يرجعون الى الاصول
الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس حتى ان مسألة ضرورية
لايكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم عليهم السلام ويوفق لمن وفق
قال امير المؤمنين ع يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب
الراي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث ان يحفظوها و
اعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا فذلت
لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق
واهله فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا
عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين
بارائهم فضلوا واضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين
اولى بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر ع من افتى الناس برايه فقد دان الله بما لا

يعلم

يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق ع انه قيل له
ترد علينا اشياء ولا نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها فقال لا اما انك ان اصبت لم توجر
وان اخطأت كذبت على الله وقال امير المؤمنين ع في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا [illegible]

وان القران ظاهره انيق وباطنه عميق
لا تفنى عجائبه ولا
تنقضي غرائبه ولا تكشف
الظلمات الا به وعنهم عليهم السلام
ايها عباد الله ان المؤمن ليستحل
العام ما استحل عاما اول ويحرم
العام ما حرم عاما اول وان ما احدث
الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم الله سبحانه
عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم
الله

فصل واما علم الكلام فمحصل ما يشتمل عليه
من الادلة التي ينتفع بها في القران والاخبار مشتمل
عليه وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة
بالتعليق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات
التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع و
اكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مالوفا في العصر
الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار [illegible]
القلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع [illegible]

[illegible]

9

وانما عن لعاب بعض الملاحدة لرموا لحوادثها فاما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وجميع ما

ارشدنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل لا يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما

الوصول اليها بالمجاهدة [illegible]

التي جعلها الله [illegible]

فينا النبوة [illegible]

الذين بالجدل [illegible]

عليهم السلام [illegible] ان يتكلم فيه فان ائمة اكثر

[illegible] المحسن وغير المحسن [illegible] قالوا فكتب [illegible] فهل ذلك كما [illegible]

فصل انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما آدابا وشروطا لا بد من رعايتها وآفات يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق لما يجب والاولى الجدال بالتي هي احسن ما هو مرتبة

قال ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين وان رسول الله والائمة عليهم السلام قد نهوا عنه فقال الصادق عليه السلام لم ينه عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن اما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد امر به العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله تعالى على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا بالجدال بالتي هي احسن قيل يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير التي هي احسن بان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله او تجحد حقا يريد ذلك المبطل ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان

يصيروا فتنة

يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له [illegible]

والارض اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالي قال الصادق عليه السلام فهذا الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم واما الجدال بغير التي هي احسن بان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا آخر

فصل وللعالم الناصح علامات وصفات وآداب فعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلام اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن الصادق عليه السلام قال ان من علامات الفقه الحلم والصمت وعن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه يعني الفقيه حقيقة ليس الذي يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون في

[illegible]

١١ مرهونه باضداد ذلك يعرض بالعلماء السوء والفقهاء الزور وقد ابطل بكل علامة مذهبا
من المذاهب الباطلة او الكفر في الاصول والفروع فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب
الوعيد وتخليد الكبيرة في النار ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية
مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة
مذهب [illegible] الحنابلة والان عزة من يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب
المتفلسفة الذين اعرضوا عن القران واهله وحاولوا الكتاب العلم والعرفان من كتب العلماء
القدماء الفلاسفة وبالخامسة مذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القران والحديث
والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات
فانها ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال

[illegible]

بعلمه فهذا ناجو عالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه
فان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله
الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق
وطول الامل ينسي الاخرة وعنهم منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا
على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله
وعمل به نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن الصادق مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما
لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا
بعدا وعن الباقر من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف وجوه الناس فليتبوأ مقعده
من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن الصادق العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم
يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم

[illegible]

على المتعلم ويبسه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع عن غير اهله فعن

[illegible]

الصادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال
بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وان لا تقول ما لم يعلم سئل الباقر عليه السلام ما حق الله
على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون قال ان الله خص عباده بآيتين
من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا قال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وعنه اياك
وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان تفتي الناس برأيك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر عليه السلام
من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر
من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد من الانوار الالهية والالهامات الحقة كما للائمة عليهم السلام
وبالهدى ما يسمع من اهل بيت النبوة كما لنا وبملائكة الرحمة الهادون النفوس الاخيار
الى مقاماتهم ودرجات الجنة وبملائكة العذاب السايقون للنفوس الاشرار الى مقاماتهم

لكل انسان بحسب عقله وافهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف

الله

منه المعارف الآن يقع ذلك للاصلاح والتطهير على وجه ما خوذ من صاحب الشرع صلوات
الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة
والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة في التصفية والتصرف عليه اذا تحركت النفس بالخواطر
الواهية وتسلط عليها الوساوس النفسانية فتنقش القلب حيث لم يتقدم
له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم يأخذ كيفية العبادة
عن صاحب الشرع وخلفائه فتتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة
واوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب
الكفر والزندقة وهو في زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقلد
غيره فيعتقد ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصين للظاهر ثم مع ذلك فلما
يخلو من الحمق والاعجاب بنفسه وافعاله واغتراره بعمله وهو ينظر الى ساير الناس بعين

اليقين ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة

12

ستر فيها فيعم ذلك والمقتبس لاضائته احرى به وكذا وفي الحديث النبوي صم من علم وعمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **فصل** قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء الجهال المتشبهين
بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى عليهم السلام ولنورد منها نبذا ليكون انموذجا
لما سواها فعن الصادق عم قال رسول الله صم اذا رأيتم اهل البدع والريب من بعدي
فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في
الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك
الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال صم اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم
علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال صم ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل
بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن
الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال صم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين عم
في خطبة له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال
رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن
يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان
على اوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال عم ان من ابغض الخلق الى الله
لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج
بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في
حياته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال
الناس غار باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما
بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس
قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يأمن ان ينقض
حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله فان نزلت به احدى المبهمات المعضلات
هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت
لا يدري اصاب ام اخطأ لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا

ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال
له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا
يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه
المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال
لا ملي باصدار ما عليه ورد ولا اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال عليه السلام
الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا
تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلا ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر
من المعروف ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عم ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس
فلم تزدهم المقاييس من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن
الكاظم عم من نظر برأيه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان
غرضنا في هذا الكتاب مقصورا على حقائق العلوم الدينية اكتفينا بذلك
ولم نتعرض لما زاد منه ولا للعلوم الاخر وعن امير المؤمنين عم انه قال العلم
اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان
النحل يأكل من كل زهر ازينه فيتولد منه جوهران احدهما فيه شفاء للناس
والاخر يستضاء به اقول وتصديق ذلك في قوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

الباب الثاني في ... اعلم ان العقائد لا يجوز اخذها الا من الله تعالى فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فقد ورد ان
المراد بها المعرفة وفي رواية التوحيد وفي الحديث النبوي صم كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل هي الجبلة
وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من
خارج فان العقل كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم يكن زيت لم يشتعل

السراج وما لم يكن سراج لم يضئ البيت وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن
ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولم يغن الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى
النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم
فضلوا واضلوا ثم ان اعقل العقلاء وفيصلهم ومن الشرايع شرعه انما ارسله الله
وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله وهدى الخلق الى الصراط
وارشدهم لمعرفة صانعهم وبوح آمرهم ببيان وبرهان ناسبا عقولهم ونبههم على دلائل
وحجج بلغت اليها افهامهم واتى بكل طائفة من ذلك بما يصلح لعقلهم وفهمهم من بيان و
خطابة وجدال بالتي هي احسن ومعجزة لمنزلة المعجزة ابين لتكون على بصيرة
من امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم اكمل لهم امور دينهم
بحيث لم يحتج امته الى اثار السالفين فيما اهمهم ويغنيهم من امر الدين وليس لقائل
ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع من ذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام
والبيان مقبول القول ومعصوم الفعل لكان غيرها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى
العقول السليمة فان بلاغته المتبعة وبيناته وحججه الملزمة على ان ما يتوقف
عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له
ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل
عليه اهل السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على
اختلاف طبقاتهم وتشعب آرائهم وتناقض اهوائهم في ابداء الادلة وانهاض
الحجج على امور الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا
موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فمعارضتهم له سبحانه

بما خلوا فيه

بما خلوا فيه مما لم يعرفوه دليلا فجعلوا انفسهم في البلاغ اتم في الدلالة مما دل عليه الحق تعالى عن ذلك او انزل الله
دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله
سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء قال امير المؤمنين ع القرآن ظاهره
انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به
فصل لما ثبت ان خير ما خلف الله سبحانه نبيه ص وقد ثبت انه ترك من بعده لخلافته
الثقلين كتاب الله وعترته المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما
كما استفاض به الاخبار من طريق العامة والخاصة جميعا على اختلاف واتفاق في المعنى
ففي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي
فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم علمهم افقه منهما ان علم الكتاب كله هو عند العترة
فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي رواية اني امرؤ مقبوض واوشك ان ادعى
فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين وفي الاخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف
بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم
فاني سالت اللطيف الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي وو
ليهما وليي وعدوهما عدوي وفي رواية وانهما الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين ع
عن معنى الحديث عن العترة فقال انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم
مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله ص حوضه وفي رواية
من جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه الى النار وفي الخبر المستفيض
ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وفي الكافي عن الامام ع
قال قال رسول الله ص انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه واهل بيتي
ثم امتي ثم اسالهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وعن الصادق ع عن ابائه قال قال رسول
الله ايها الناس انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رايتم الليل
والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد وياتيان بكل موعود فاعدوا

الجبار العدل الحي قال فقام المقداد بن اسود فقال يا رسول الله وما دار الهدنة فقال دار بلاغ و
انقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع مشفع وماحل
مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب
فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره
انيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار
الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب
ويتخلص من نشب فان التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن
التخلص وقلة التربص وعنه عم قال قال رسول الله صلعم القران هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة
ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد
عن القران الا الى النار وعن الائمة المعصومين عليهم السلام من لم يعرف امرنا من القران
لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلام من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلعم زالت الجبال قبل
ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني رحمة الله عليه
بعد نقل هذه الحديث وطرح العلة انتقضت على اهل دهرنا بشوق هذه الاديان الفاسدة و
المذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل
وخذلانه فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب التي تؤديه الى
ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلعم بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال
الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب
له الاسباب للاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة لذلك فذاك في المشية ان شاء الله تبارك
وتعالى اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا
ويصبح كافرا لانه كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله وقد قال
العالم عم ان الله تع خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء

على الوصية

على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم
جرى قوله فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله
فمن اولو الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال صلعم هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم
علي بن ابي طالب عم ثم الحسن عم ثم الحسين عم ثم علي بن الحسين عم ثم محمد بن علي عم ثم جعفر بن محمد عم ثم موسى بن جعفر
ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه
وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض
ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول
بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله صلعم فهل ينتفع
شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته
في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علمه فاكتمه الا عن اهله

فصل

اعلم ان الناس في فهمهم العقائد وتعقلها على طبقات وانما كلف الله عباده [illegible]
بعضها فوق بعض بسبع درجات [illegible] ان المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين
ومنهم على ثلاث ومنهم على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع [illegible]
[illegible]

وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراءة الحديث
ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة
القران وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات
ووظايفها وما يسري اليه من مشاهدة الصلحاء ومجالستهم ورؤية سيماهم وهيئتهم
وايمانهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء البذر في
الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع
شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من
الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر
مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا ناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل
الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي
في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا
الا الذي سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق بين التقليد في تعلم الدليل
وتعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا
وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في
الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه
العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد
ان يكون من سالكي طريق الآخرة وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة
انفتح له ابواب من الهداية ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في
قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب

درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور
اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ تختلف ذلك
باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات
فكذا منه وتفصيل متعلقات العقايد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد
اشرنا اليهما في الفصل الثالث من باب الاول **فصل** قال حجة الفرقة الناجية
نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على
المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله اذا صدق الرسول فينبغي
ان يصدقه في صفات الله واليوم الآخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما اشتمل
عليه القران من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله فهو انه حي قادر عالم مريد
متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في الآخرة فبالايمان بالجنة والنار و
الصراط والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة
الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذا بباله ومات
مات مؤمنا فان غلب على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب
من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى
تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة
لا يؤمن ان يتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك جوابها اذ الشبهة
قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمل عقله ولهذا ورد الحجر الزجر عن البحث
والتفتيش عن الكلام وانما زجروا ضعفاء العوام واما الائمة الذين فلهم الخوض في
غمرة الاشكالات ومنع العوام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق
ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان
ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على

ادراك الحقايق كلها وانه من جملة الاقوياء فيما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالة من حيث لا يشعرون
والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين
من مجاوزة سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اشتغل في الخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت
وجنتاه افبهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فيما امركم الله به
فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فهذا تنبيه على منهج الحق وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا خلاف لاحد في التقوى و
المتقي محبوب عند كل فريق وفيه جماع كل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع
عليه اهل الصفاء والتقى من اصول الدين وحقائق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل
في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجمعت الائمة المختارة بان الله واحد
ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعته
لم ولا كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان
القرآن كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان واحداثه وافناؤه عنده سواء ولا يزداد باحداثه علما
ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا الاصل
فلا تقبله وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين فصل اعلم ان الاسرار
التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر عن ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك
كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم من عالم الملك فاذا افشي اليهم
يصير فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين
وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض

بعض الحقايق

بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل
بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن تكنى عنه على
سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم
وقع ذلك الامر في قلبه كما قال القائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير
وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن
لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك وكذلك ما ورد في الحديث
اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك
من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ حقيقة الحمار
خاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار
في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ
من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان و
هذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله
ومن هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين فانه تمثيل لتاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها بما هو المطاع واجابة
المطيع الطايع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو نوع من الكلام باطنا دون حرف وصوت ومنها التعبير عن الصراط لا
بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بغير الكفتين الى غير ذلك ومنها
مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان
يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب و
الاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة
او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك

١٧ تفرقة بينهما والكيفية الاخيرة ضد الاولى بل هو اشكاله فكذا الكلام في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل اكثر العقائد فصل في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلام فاذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم فان لم يجز لاولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة اما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم واما من حيث افترقوا فلا قال بين لي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلى الله عليه وآله اذ كانت دلائله اوضح من ان تخفى واشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا وبالترفرف بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان

يقلدوه

ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

الباب الثالث

في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخرا له كتسخير المولى لعبده وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات ولها في هذا البدن جنود جسمانية من الاعضاء وجنود روحانية من القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا صلى الله عليه وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي

فصل اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو الحلم والحكمة والتفكر والتذكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق

فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون
الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه **فصل** ثم اعلم ان الانسان قد اصطحب في
تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربع انواع من الاوصاف والصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى
افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث
سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن
حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية
ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد
بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم
كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر
على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث
يختص عن البهائم بالتمييز اي استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر
والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان
ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية اعني الربانية
والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع
في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو
الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه
وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب
العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح
معنى السبعية الضراوة والعداوة والعقر وفي باطن الانسان ضراوة
السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى
الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان

لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان
عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف
عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره من الخنزير
بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب
بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر
عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق
الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة الكلب والخنزير وهذا
حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء **فصل** اما طاعة
خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير و
الرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة
وغيرها واما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة
والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف
وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة
والغضب فتحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة و
التلبيس والغش والخب والخنا واشباهها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة
الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين
والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك
كله بقوة العلم والبصيرة واستحق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلالته
ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة

وبهذه الوحدة الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع
والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها و
يحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم
والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة
والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار
على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء
واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وتنكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلعم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له
واعظا من قلبه وبقوله صلعم من كان له من قلبه واعظ كان له من الله عليه حافظ وهذا القلب
هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة
فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان
يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع
على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى
حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت
الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين
بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها
من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى
التوبة والتدارك اولئك يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة

قال امير المؤمنين

قال امير المؤمنين عم ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض
القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع
على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عم ان القلوب ثلثة
قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو القلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر
فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره
الى يوم القيمة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عم ان القلب ليكون في الساعة من الليل و
النهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال
ثم تكون نكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان **فصل** ان القلب في حكم
قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب او مثال هدف تنصب اليه السهام
من الجوانب او مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى
فيها صورة بعد صورة او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه و
مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن
فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك
بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة
الاكل او بقوة المزاج والاثار تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال
ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب دائما في التغير والتأثر من هذه الاسباب واخص
الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اعني ادراكاته اما
على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان
النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ
الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم والنية
والعزم تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني
ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران
مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير

يسمى ملكا وسبب الالهام الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الخير
الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك
عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف و
الشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم
بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما قال النبي صلى الله عليه وآله في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد
بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا
الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء اكثر ما فيه من غرض التقليب والقدرة على التحريك
والتغيير بالاستعانة بالملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب
كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول
آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين قبولا متساويا وانما يترجح احدهما
على الآخر باتباع الهوى او حب الشيطان مجالا بالوسوسة ومهما انصرف الى ذكر الله
ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكة
والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ولا
يستوحش ويكون اجتياز الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون **فصل** اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان
بلمة الملك فان من كيد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ
اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على
عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير
ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة
العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه
ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين

لهم

ذلكم

لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل سقط وقعك من قلوبهم ولم
يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق
ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح
الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو
يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا
الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر **فصل** قال بعض
اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة الشيطان تقع في النفوس على وجوه و
علامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس ويقابلهما الهوى و
الشهوة الحاصلان من جانب الشمال وثانيها كالنظر الى آيات الآفاق والانفس على
سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة
العاقلة التي هي على الجانب الاعلى من النفس ويقابله النظر اليها على سبيل الاشتباه
والغفلة والاعراض عنها اللاتي منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة
التي في الجانب الاسفل منها وثالثها كالآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية
لانها مصادر العلوم اليقينية والمتشابهات الوهمية بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لانها مصادر
المغالطة السفسطية ورابعها كتعاليم الرسول المختار والائمة الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار و
التشبيه من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك
سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور وخامسها كتحصيل العلوم والادراكات
التي في الموضوعات الحقة العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته ورسله و
اليوم الآخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدي الله وحضور الملائكة و
النبيين والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي من باب
الحيل والخديعة والسفسطة والتامل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن
دار الحس فان الاول شبيه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت
السماوي والثاني شبيه الاباليس المطرودة عن باب الله الممنوعة عن ولوج السموات

المعصية في الغاية المحرومة في النهاية عن الارتقاء والمحجوبة في الاخرة عن دار النعيم **فصل** اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة فلا مواخذة لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك اصل الميل والهيجان لا لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه مما يواخذ به والاضطراري لا يواخذ به واما الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوه عليه بمثلها وان تركها فاكتبوه له حسنة انما تركها من جراي وعن امير المؤمنين في قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الآية عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الآية بالتشديد بها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يواخذ به وعن النبي صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي تسع خصال الخطاء والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وعن احدهما عليهما السلام ان الله تعالى جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عمل بها كتبت له سيئة

وفي رواية

وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه وسئل عن الصادق عليه السلام عن رجل من آل شرف مجالس الغضب يواخذه الله تعالى به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله تعالى الا اللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلام ان الله ابتلى المؤمن ببعض تقصيره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ويعجب بنفسه في كل وقت يلتبس فيه ويبعث فيه معه لتقدم سرورا عند احسانه ويسيح في الشر عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرا هم بخير فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له **المقالة الثانية** في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب **الباب الاول** في معنى الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر عنه بذل المال ومثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع آخر وربما يكون خلقه البخل ويبذل لباعث او لرياء فلا يتم الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الشهوة والغضب فحسنها في ان انقباضهما وانبساطهما

تحت ما يقتضيه الحكمة والدين واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت
اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ
الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة ومثال الغضب مثال الكلب
الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا
بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب
الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه الصفات
واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن
الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها
يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت
قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف
سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت
الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو العدل والطرفان رذيلتان
مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد
واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة
خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن
امهات الاخلاق الحسنة الجملة واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة
والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلعم ولهذا اثنى
الله تعالى عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب
والبعد منه فيقتضي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم و

انفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير
ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو
السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة
التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد
وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى
ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال و
لا في الرحمة بكل حال **فصل** اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل
المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
ولم يسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق
لا يمكن تغيرها وان الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما ان
الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الصورة الظاهرة فكما ان
الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان حسن الخلق انما
انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال به
تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وهو
محال فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديب
ولما قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ولما قال عليه السلام حسنوا
اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير الخلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد الوحشي
الى الانس والكلب من شره الاكل من الصيد الى التادب والامساك والفرس من الجماح
الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء
عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره
في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل الاعضاء والبدن داخلا وخارجا وبالجملة
كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا
وجعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان
النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان يصير نخلا

ان تقصافي اليها التربية ولا يصير نفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار
حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما بالكلية حتى
لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا
عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك
دون القمع بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة
لو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل
ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس
المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط فالمطلوب من صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن
جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولو بطل
الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية
والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدنا صلى الله عليه وآله انما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول
الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين
الغيظ ورد حد الشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر عقله عن رفعها الا بالانبساط الى
الفواحش وبالرياضة تعيد الى الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة
تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها فصل قد يكون الاعتدال في القوتين فطريا بحيث
يخلق الانسان وينشأ كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب
على عقله كالانبياء والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة
بحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه
خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال
يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه

فيصير

فيصير بنفسه جوادا ومن اراد التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال
المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا
وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل
الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن
كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن يترسخ الاخلاق الدينية
في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة ولم تترك جميع العادات السيئة
وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره
الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله ص جعلت قرة عيني في الصلاة
ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو
لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة
الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا
على الخاشعين وقال النبي ص اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره
خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة
واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام
وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل
رسول الله ص عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان
الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات
تاثيرها في القلب وانما يتأكد اثرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية
هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا
شيء احب اليه من الله سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على
الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه

بعصيان

ازال القلب وطالب تزكية النفس لا يبالي بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم
ولكن العطلة في يوم واحد تدعوا الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى يأنس النفس بالكسل
وترك التحصيل رأسا وصغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة
بهدم اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا بصغير
المعصية فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل
واحد تأثير وربما تحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة
ومصاحبتهم وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة
ومصاحبتهم وهم قرناء السوء فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا فمن
تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما
فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقل اقران السوء
فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى
وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد
بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله تعالى اذا اراد
بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا
عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم
يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان
يقف على عيوب نفسه فليطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه
رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله
وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليها او يستفيد عيوب نفسه من السنة
اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي كما قيل وعين الرضا عن كل عيب
كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان

بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا
ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول
اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم او يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما
بينهم فليتهم نفسه به ويطالب نفسه بتركه وكل ما يراه محمودا يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة
المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف
به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه
ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن المؤدب قيل لعيسى على نبينا وعليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته

الباب الثالث في ان الاوصاف والاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير الاعمال والاعمال انما تصدر من القلب
بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لان يصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة وان
تصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلا بد من مراعاة القلب والجوارح وحفظهما
عن المحرمات ومنعهما عن الشرور واعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج و
اللسان وعن الحديث النبوي صلى الله عليه وآله من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن و
الذبذب الفرج واللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار
الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما
سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها
شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال
والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار
المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء
وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي
ذلك صاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منه

من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر بعد ذلك الا الانهماك
في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم تتكالب كل هذا التكالب على الدنيا فقال
النبي صلعم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
فان كان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال
لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر
الماء وقال صلعم افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله
تعالى كل نؤوم اكول شروب قال الحكيم ان البطن ليطغى من اكلة واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى
اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه وفي مصابيح الشريعة قال
لقمان ما من شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان
الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام القلب وصحة البدن وقال لقمان لابنه يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وبالجملة
ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن
المعصية ودفع الغفلة وتذكر جوع يوم القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع
النوم الذي يكل الطبع عما يشبع العمر ويفوت القيام والتهجد وتيسر المواظبة على الطاعة
لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد والاكل ودفع الامراض الناشئة عن
فضول المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء **فصل** قد علمت ان المقصد الاقصى
في جميع الاحوال والاخلاق الوسط وما ذكر في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط
فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار الحكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع
فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومي

يومي

عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم
يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي
ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان و
يحصل الاعتدال ولما بالغ النبي صلعم في الثناء على قيام الليل وصيام النهار
ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا
عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث
لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا
ان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة
والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا لا يبقى
للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام
والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل
طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه **فصل** واما شهوة الفرج فانما
سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها
لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان الم
النار اعظم الآلام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم
وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفة
ما يهلك الدين ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا
افراطا وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء

والوادي فيحجبهم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد تنتهي هذه
الشهوة بمن غلبت وتمكنت عليه عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة
فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة
محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز منه في اوائله بترك معاودة
النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط هذه الشهوة اما بالعنة الخارج
عن الاعتدال او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون
معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون
بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء

فصل اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها
عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه
وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او حياء او لمحافظة على جسمه
وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر
نعم من العصمة ان لا تقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك
الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه
خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق
الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم
فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا
دعته امراة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
لا نفسها

وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى
بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة
وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة
سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في
قلبه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت
من النساء

فصل واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير
جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية
الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون
او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه
اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء
فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل
الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى
وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى
العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار
ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي
ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه
عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض
عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان

فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ولذلك قال النبي ص من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وقال امسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه وقال ص من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومرّ امير المؤمنين ع برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد ع قال ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وعن الباقر ع ان شيعتنا الخرس وعن الصادق ع النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال في حكمة آل داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه وقال قال لقمن لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين ع المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤونة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله

معنى يكشف

معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سآمة عند الخلق منه وسئل السجاد ع عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال ع لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله ص قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما كنت لأعدل القمر بالشمس انك تصف فضل الكلام بالسكوت

فصل اعلم ان آفات اللسان كثيرة منها الخطأ والكذب والغيبة الغير المأذون فيها وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يذم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ايضا لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح

بين الناس وقال النبي صلعم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله

فصل اعلم ان فيما الكذب والغيبة بغير المأذونين لان من الكذب والغيبة ما يجوز قال

الصادق عم كل كذب مسئول عنه صاحبه الا في ثلثة رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه

ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما

ورجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم وكذا ورد عن النبي صلعم وورد ان في

المعاريض لمندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها وقال

النبي صلعم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة وقال لي

الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال الصاحب الحق فقال وقد ورد من الحديث في وجوب

غيبة اهل البدع والريب لتحذيرهم الناس وعن النبي صلعم أترعوون عن ذكر الفاجر

حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وفي معنى الغيبة خفاء لا يكاد ينكشف

الغطاء عنه فقد روي عن النبي صلعم انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله

اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان

فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم

الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده العلم فيه واما الخوض في ذكر

غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه

اذا سمع وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان

الله ورسوله لكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل

في دين الله واما اذا اراد به تنقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان

صوابا القول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه ساترا على

كارها لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه عم ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم

يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم عم قال من

ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس

اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته وعن الصادق عم قال الغيبة ان تقول في اخيك

ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وخص بعض علمائنا تحريم

الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم

فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا تتناول من لا يعتقد الحق

وعن الصادق عم ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة

وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال وان

ما اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه وان لم يبلغه فاستغفر الله وسائر الآفات

اللازمة مستغنى عن البيان

الباب الثالث

في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار

اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد

استكنان الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او

حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق الى الشيطان

اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان من شأن الطين السكون

والوقار ومن شأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج هذا الغضب
الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومقتضيهما مضغة اذا صلحت
صلح معها سائر الجسد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل
العسل وقال من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر عليه السلام ان هذا الغضب
جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه و
انتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم
الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك وقال وايما رجل غضب على ذي
رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت قال وكان ابي يقول
اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف
المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته وقال ان في التورية مكتوبا يا ابن آدم
اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي وقال الصادق عليه السلام الغضب مفتاح كل شر وانما يغلي الدم
عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب
على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف
القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض
وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند ثورانها الى
دفع المؤذيات التي خلقت لاجلها قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها او الى
انتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في هذه القوة على

درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة
او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم
الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والفتور والسكوت عند مشاهدة المنكرات
وقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال لنبيه يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب واما الا
فراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى
للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسبب غلبتها قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا وربما
يحصل لاقوام يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول
احدهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في
معرض الفخر بجهله فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم
فيقوى ويضيع عن كل موعظة ولا يقدر الا انتفاء نور عقله لانطفائه بدخان الغضب
ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال
عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الا
حداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن
غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن
وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذا اثره
في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه [illegible]

العقول ويتحير منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ
واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير
مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب
على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما
يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب
الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها وقد
يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك كذا كانه يخاطب
عاقلا واما اثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور
والعزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط
وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من ثورة الغضب ويقف على الوسط الذي هو بين الطرفين فهو
الصراط المستقيم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون
من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فصل اعلم ان الانسان ما دام يحب ما يوافقه
ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتأذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلته وطبعه
فانه مهما اخذ منه محبوبه او قصده بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص
وانما المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه

معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا
بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلث وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان
لا يغضب في غيرها والعبد يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد
يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة
حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك
مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ
في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا فان قيل
انما الواجب التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي
قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من
ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد
والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله فلا يغضب على احد
من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه
ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه
الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب
على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة
التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب

الا الالتفات الى الوسايط او غلب طبعا لا ينفك عنه ولو تصور ذلك على الدوام
لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله روي عن امير المؤمنين عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا
فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب
على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من يغضب
على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا
يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب
مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره
فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهكذا كان
سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت
موازيني لم تضرني ما تقول فقد كان همته مصروفة الى الاخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم فاذا انتصور
فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان
يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله غيظه وذلك محال في احوال
نادرة. فصل قد تبين ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها والاسباب
المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر والهزء والذل والتعيير والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا
ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي
ان تميت الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انك من الرذائل

الزهو ضد التواضع — المماراة المجادلة — المضادة المخاصمة — وانما الفخر

وانما الفخر بالفضائل واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق
الحسنة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بها
واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا
لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه
الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع
الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس
فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها وعلاجه
عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا
والوضوء او الغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كما ورد في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله
وان يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال
قال الله تعالى خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال الكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
وقال النبي صلى الله عليه وآله ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء
وجه الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا
وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله عزا في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام
كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وان يخوف نفسه بعقاب الله
ما يكون الا العفو وان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر
العدو لمقابلته وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره

فى حالة الغضب وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق
مراده وعن النبى صلعم الا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطئ الغضب سريع
الفئ فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطئ الفئ الا وان خيرهم البطئ الغضب السريع
الفئ وشرهم السريع الغضب بطئ الفئ فصل اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن
التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم
قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى
زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان
ان تزيد على اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان تهجره وتقاطعه
وان طلبك واقبل عليك ومنها ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء
السر وهتك ستر وغيره ومنها ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما
يولم بدنه ومنها ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل
درجات الحقد ان تحترز من هذه الآفات ولكن تستثقله بالباطن ولا تنتهى قلبك عن
بغضه حتى تمتنع عما كان تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته
والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء
عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك
وبين فضل عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد فى الاحسان مجاهدة
للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلعم
الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والا

لا من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال رسول الله صلعم عليكم بالعفو
لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر عم الندامة على العفو
افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبى صلعم ان الرفق لم يوضع على شئ الا زانه
ولا نزع من شئ الا شانه وقال الباقر عم ان لكل شئ قفلا وقفل الايمان الرفق
وقال صلعم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وقال عم
من كان رفيقا فى امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم عم الرفق نصف العيش
فصل واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد من نتائج الغضب ثم الحسد
من الفروع الذميمة ما يكاد يحصى قال الله تعالى فى معرض الانكار ام يحسدون الناس
على ما اتيهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما فى قلوبهم وما اوحى اليه من الرضا بقتله ثم ما
اصابهم من ذلك وقال رسول الله صلعم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلعم
قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما اتيتهم
الناس على ما اتيتهم من فضلى ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان
الحاسد ساخط لنعمى صاد لقسمى الذى قسمت بين عبادى ومن يك كذلك فلست
منه وليس منى وقال صلعم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود
وقال صلعم ثلث لا ينجو منهن احد وفى رواية قل من ينجو منهن الظن والطيرة
والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض
واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عم آفة الدين الحسد والعجب والفخر وفى مصباح
الشريعة قال الصادق عم الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث
بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والا
صطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان
المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد

والحسد اشد من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر بالحسد وقع ابن آدم
في حسرة الابد وهلك هلاكا لا ينجو منه ابدا والابد للحاسد لان مرض عليه
معتقد به مطبع فيه بسد ولا يعارض بسد والسبب والطبع لا يتغير عن الاصل
وان عولج فصل يعني الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه
فان لم يحب زوالها منه ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها
يسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والغبطة ان كانت في الدنيا فمباح وان كانت في الدين فمندوب اليها قال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه
الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس فسمى
الغبطة حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافر او فاجر
وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا
يضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث انها آلة الفساد لا من حيث انها
نعمة واسباب الحسد سبعة العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من
فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما
يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه
يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد
بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو
المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل
تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته
بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني
على الاختصاص بنعمة ~~وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف فوت مقاصده~~
لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
وان كانت النعمة لا تنتقل اليه وقد تجتمع هذه الاسباب او اكثرها في
شخص واحد

مقموع بحركة في طبعه

غبطه يغبطه مثل ضرب يضرب والغبطة ان تتمنى مثل حال المغبوط من غير ان تريد زوالها عنه وليس بحسد

الشح البخل مع الحرص

المجاملة المعاملة بالجميل

شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة
فيصدر عنها باساءة اهله ويظهر العداوة بالمكاشفة فصل هذه الاسباب انما
تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه
وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه
على المخالفة لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ولذلك لا ترى
بين شخصين في بلدتين متباينتين فلا تكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا في مسكن
او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور
من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية الاسباب فلذلك
ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر
يحسد التاجر دون غيره الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد
الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية
زوجها اكثر مما تحسد ام زوجها وابنته وذلك لتزاحم على المقاصد نعم
الشديد الحرص من يحسد كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها
ومنشأ كل ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على
العارفين المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة
نعمة العلم الآخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته
وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف
ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد
يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة
احد بسبب غيره بل تحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة

ويظهر العداوة

ضرة المراة امراة زوجها

والسرية الجارية والمراد بها جارية المملوكة

والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة
عند الله النعيم لا ضيق فيها لان اجل ما عند الله في النعيم لذة
لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة بل لا يزيد بكثرتهم نعم اذا
قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان
واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر
ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم
عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك
سببا للمحاسدة

فصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب
ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض
الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين
والدنيا وانه لا ضرر به على المحسود في الدين والدنيا بل
ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك
وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا
عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله
تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي
اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته و
هذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان
وناهيك

وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين
وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد
الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال
النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار
الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك
فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في غم وكمد اذ اعداؤك
لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها
وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق
النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد
المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة
عن المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله
عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون
المؤمنين قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما قدره الله من اقبال ونعم
فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده
بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على
المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة واما ان المحسود
ينتفع في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه

معلوم من جهتك لانها اذا اخرجتك الحسد الى القول او الفعل بالغيبة والقدح
فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اي بنقل حسناتك
الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة
ما اضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة وكل
واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء
وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت
فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم واما الحاسد
ينبغي ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي ان
يكلف نفسه بنقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه
المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع
والاعتذار وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة
في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه
واحبه ومهما احبه عاد الحاسد احبه وتولد بينهما الموافقة
التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخر والاصل في العلاج
قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا
يغني كما ياتي بيانه

الباب السابع في الرياء والكبر والعجب

اعلم ان الرياء بالعبادة
حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله تعالى ويل للمصلين الذين هم
عن صلوتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون

وقال تعم

وقال تعم يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل كالذي
ينفق ماله رئاء الناس ولا يذكر [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول الله تعم من عمل عملا صالحا اشرك فيه غيري فهو له
كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلعم ان
ان فيه علامتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند الله لم يكون
دينهم رياء لا يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق
فلا يستجيب لهم وقال صلعم ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد
بحسناته يقول الله تعم اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد
بها وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه اخشوا الله خشية
ليست بتعذير واعملوا في غير رياء وسمعة فانه من عمل لله وكله الله
الى عمله وقال صلوات الله وسلامه عليه ثلاث علامات للمرائي ينشط اذا
راى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد في كل اموره وقال [illegible]
الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال الرجل
يصل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا
ثم يذكرها فتمحى علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق عليه السلام
قال الله تعم انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا
ما كان خالصا وقال كل رياء شرك انه من عمل للناس كان
ثوابه على ومن عمل لله كان ثوابه على الله وقال عم في قول الله

عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا قال الرجل يعمل عملا شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله
انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك
لعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى
يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله
له شرا وقال عم ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويستر سيئا اليس يرجع الى
نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه
بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل
من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله
في تعبه من بدنه وسهره من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين
من سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده اخفاء الطاعة
والاخلاص لله لكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه
واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له و
الطافه به فانه ستر الطاعة والمعصية ثم لما ستر الله عليه المعصية
ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة
في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وكذا اذا استدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه
كذلك يفعل به في الاخرة قال رسول الله صلعم ما ستر الله على عبد
في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا

قوله جواز ورجاء بالقبول [illegible]

قوله فيضاعف جواب وجزاء لقوله اذا ظن

بالقبول وهذا التفات الى المستقبل وكذا اذا ظن رغبة المطلعين
على الاقتداء به في الطاعة فيضاعف بذلك اجره فيكون له
اجر العلانية بما ظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى
به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص
من اجورهم شيء وكذا اذا فرح بطاعتهم لله في مدحهم وحبهم
للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع
عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وسئل الباقر
عم انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك
قال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس
الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان
المعاصي لا لان يعتقد فيه الورع بل للتحرز عن الهتك او لان
الشرع امر به ويعرف بكراهة ظهورها عن الغير او لانه
يتألم بالذم فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس شهداء كما ورد
او لان الذم يصير عاصيا ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره او الخوف
ان يقصده بسوء او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله
خير الحياء شعبة من الايمان او لان يقتدي به الغير او حبه
محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه الله
تعالى جعله محبوبا في قلوب الناس **فصل** اعلم ان الرياء
بالعبادة انما نشأ من حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة
والطمع لما في ايدي الناس فمهما عرف العبد مضرة الرياء و

وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة
من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي و
في مقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من
الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء ولا محالة
مع العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص
فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي
الى النار فهذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب
ملاحظة قلوب الخلق فان رضاء الناس غاية لا تدرك وكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم في سخط بعض
ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه
ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيد
حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو
يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى
هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون
فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل
والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة
فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت
رغبته واقبل على الله قلبه ويكفيه ان الناس لو علموا
ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف

الله

ان يجي

الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم
وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم
ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب
دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله
واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك و
ان شق في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه
ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق
والتأييد لكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عم اكثر ما يقع الرياء في النظر والاكل والكلام و
المشي والمجالسة واللباس والضحك والصلوة والحج والجهاد وقراءة القرآن و
سائر العبادات الظاهرة ومن اخلص لله باطنه وخشع له بقلبه ورأى نفسه
مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له
الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام على ذلك في كل حال

فصل واما الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا
اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق
بذوي المروءات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس

وان جاز لهم في الخلوة الآن وذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص
من العباد فلا بد من مراعاة ذلك فعن الصادق عم انه نظر الى رجل من اهل المدينة
قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال عم اشتريته
لعيالك شيئا وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري
لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عم لولا المخافة ان يعيبوني على ذلك مع
ان جدي امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يفعل مثله لانه
لما كان في زمان لا يعاب عليه بمثله جاز له ان يرتكبه وكان منقبة
له وعلما وورد ان رسول الله صلى الله عليه وآله اراد يوما ان يخرج على
اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له
او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه ليتزين
احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن
الهيئة وقال الصادق عم الثوب النقي يكبت العدو وكل ذلك
رياء محبوب **فصل** واما الكبر فانه من نتائج العجب والتكبر ينشأ
من الحقد او الحسد او الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه
قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير
الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى

صلعم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال من تعظم
في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال الباقر عم
الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال الصادق عم الكبر
ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر في رواية اخرى سفه الحق
بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير الناس والتجبر
عليهم وقال ما من احد يتكبر او يتجبر الا لذلة وجدها في نفسه وقال
ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله شدة حره وسأله ان
يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون
في صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال عم ان
في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه
وعن النبي صلعم ما تواضع احد لله الا رفعه الله وعنه صلعم انه
ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به
الكبر عن نفسه وعنه صلعم انه قال لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا
وما حلاوة العبادة قال التواضع صلعم وقال اذا رأيتم المتواضعين من
امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة
وصغار وعن السجاد عم انه مر على المجذومين وهو راكب حمارا وهم
يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت
فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم
دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عم قال التواضع

ان يعطي الناس ما يحب ان يعطاه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم
التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع
لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقايق ما في مخفيات العواقب
والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه
الله على كثير من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات
من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف
رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله و
هيبته وعظمته وليس لله تع عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع
ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده لا
المتصلين بوحدانيته قال الله تع وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله
عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمد صلعم بالتواضع فقال عز وجل
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة
الخضوع والخشوع والخشية والحياء وانهن لا يتبين الا
منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله

فصل التكبر قد يكون على الله كما كان لمن كان يقول المولى دمن الله

عليهم

عليهم حتى بيننا وقد يكون على رسله سائر الناس بان يستعظم نفسه ويستصغر غيره فاذا
سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأزت مجالسه كما يكون لاكثر
المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ثم تكون بالعلم وقد يكون
بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة
وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون
اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو
خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها
بالمجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض
في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر
في الخير اثره وعلاجه ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله تع وحده وانه
اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع
فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم حجة الله على اهل العلم
اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من يعصي الله
عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم
ولذلك قال رسول الله صلعم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار
فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار
فيقولون مالك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر
واتيه وقد مثل الله على علماء اليهود بالحمار وبلعم ابن باعور
بالكلب وقال عيسى بن مريم عم ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم
النار وقال الصادق عم يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر
للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم

انفلاق شده از نيام برآورده
و از شكم بيرون آمدن

لا يشعر ان يتكبر عليه لما عرف من فضله العلم وكما ان العلم يمكن ان يكون
حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ان الحسنات
يذهبن السيئات وامر غير العالم في حقه مستعد وانما المدار على الخاتمة
فعليه ان راى من هو شر منه ان يقول لعل هذا يمحو ما ملك انا فلا ادرى
ترائى خاتمة العاقبة ويقول بل هذا باطن فلا اكن جزله ولا ادرى
لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن
الاعمال وبر ظاهره فذلك يشق لي لا آمن فيما اظهر من الطاعة ان
يكون دخلتها الآفات فاحبطتها وبالجملة من جوز ان يكون عند الله
شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال
من الاحوال نعم انما غلبة الخوف ان كل احد حذرا في نفسه وذلك هو الفضيلة قال
الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم يؤتون بالطاعات وهم
على وجل عظيم من قبولها وعن بعد الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة
امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره ولذلك قيل
لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر
بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته
بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل
لي ومن انت انما انت دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف

نسبه الحقيقي

قوله التارة استقذ استخلص من

نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب
ذليل وقد عرفه نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه
ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء الى من القبائح ما يكدر عليه التعزز بجماله
فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته
والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه
والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط بيده كل يوم
دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين
ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه
وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة
ودم الحيض وخرج من مجرى البول الى الرحم مغيض دم الحيض
ثم مجرى القذر ولو تفكر نفسه في حياته يعلم انه لم يتعهد
بالتنظيف والغسل لثارت منه الاقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر
من جميع الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه
من العلل والامراض فانه لو توجع عرق واحد من يده لصار اعجز من
كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته
وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته

ما لا يحترف منه ثم ان اقوى السلاطين لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بعير او
وان افتخار في صفة تسبقه البهايم واما التكبر فان لشرف يسبقه اليهود
فان لشرف باخذ السارق والمتكبر بتمكن السلطان بما دام على قلب هو
اشد غلبا نام القدر فان تغير عليه كان اذل خلق الخلق وكل متكبر
بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل **فصل** اعلم انه لا يتم الشفاء من
الكبر الا باستيصال اصله من منبته وقلع شجرته من مغرسه في القلب
وذلك بان يعرف ربه وانه لا تليق العظمة والكبريا الا به
وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل
واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة ويكفيه
آية واحدة من كتاب الله عز وجل ان فتحت بصيرته قال الله تعالى
قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ثم لو اكمله وفوض اليه امره وادام
له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه
سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة
والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي
ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك
لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله

ويريد ان يذكر

ويريد ان يذكر الشي فينساه ويريد ان ينسى الشي فيغفل عنه فلا يغفل عنه
ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والافكار
والاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشي وربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشي وربما يكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه
وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من
ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه
ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو
مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على
شي من نفسه ولا من غيره فاي شي اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق
الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما آخره ومورده
فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة
قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته وتفتت اجزائه وتنخر عظامه
فيصير رميما رفاتا ثم يصير روثا في اجواف الديدان يهرب منه
الحيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان
فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان فيا حسنه لو ترك
ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد
جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة
قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة

قلبه صح

وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر
ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير
وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فالمنى هذا حاله ما له وللتكبر بل ما له
للفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر واما العلاج العملي فهو التواضع
بالفعل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد
ورد ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ياكل على الارض ويقول انما انا
عبد فلو اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الآخرة
وللمتواضع امتحانا يعرف بها تواضعه فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى
يطمئن بانه متواضع فانه قد يظهر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا
وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت وعدها ثم المحمود ان يتواضع
في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى
الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل

فصل

واما العجب فهو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم
فان كان خائفا على زوالها مشفقا على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها
من الله من دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى ذلك
ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان من استبعد
ان يجري عليه مكروه سمي ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله
دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا

فان تقدمه او اقترح على الله اقتراحا او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا
عليه قال الله تعالى في معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال
عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا
يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب
بعمل هو مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا وقال النبي صلعم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع و
اعجاب المرء بنفسه وقال صلعم اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وقال صلعم لو لم
تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال الصادق
ع ان الله تعالى علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا
بذنب ابدا وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل
العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك
خير له مما دخل فيه وعنه ع قال ان عالما عابدا فقال له كيف صلوتك
فقال مثلي يسأل عن صلوته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك
قال ابكي حتى تجري دموعي فقال العالم ان ضحكك وانت خائف افضل
من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء.

ومن آفاته ما قد ورد دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد مدلاً
بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك والفاسق صديق والعابد فاسق
وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك
وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب
وقال النبي صلى الله عليه وآله قال موسى عليه السلام لابليس اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه
ابن آدم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر
في عينه ذنبه وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود بشر المذنبين
وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة و
اعفو عن الذنب وانذر الصديقين قال يا داود ان لا يعجبوا باعمالهم
فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلام انه سئل
عن العجب الذي يفسد العمل فقال للعجب درجات منها ان يزين للعبد
سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه فيحسب انه يحسن صنعاً ومنها ان العبد
يؤمن بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه

وفعله فقد

وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب
وان اخفى دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم
انه عاجز فقير ويشهد على نفسه لتكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات
حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل
وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب
فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد من ان يثمر

فصل

اعلم ان آفات العجب كثيرة فمنها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه
كما اشرنا اليه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها
ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما
العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة
الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها
ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعاً فان الاعمال الظاهرة
اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قل ما تنفع وانما يتفقد من يغلب
عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله

فصل

التفقد التفاحص والتلاحظ

وعذابه ويظن انه عند الله مجاز وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرأيه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه فصل اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر به كعجبه بالرأي الخطاء الذي

الرأي

الفترة الانكسار والضعف

ان ثلث وسبعين فرقة

يزين له بجهله وقد اخبر رسول الله صلعم ان ذلك يغلب آخر هذه الامة وبذلك هلك الامم اذا افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطاء جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه وقد سلط الله عليه بلية مهلكة وهو يظنها نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب العزيز او سنة نبيه صلعم او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة وان يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم

الجازم وهو البرهان القاطع

ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ الاستغراق
عمره في العلم ان لا يخوض في المثال هذه لا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد
ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله
صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل بيته صلوات الله وسلامه عليه
وعليهم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشتغل
بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال المرضية فصل

لما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه
المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار
العبد كالعبادات فان العجب بما اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب
وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى
والعبادة والعمل الذي يعجب بها ان يكون يعجب به من حيث ان فيه
وهو محله ومجراه ومن حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته تحصل فهو جاهل لان المحل مسخر وانما يجري
وعليه من جهة غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس

اليه

اليه ان كان الشي فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب
التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك نعم من الله اليه
من غير حق سبق ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى
وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة
فان قلت نعم للعبادة يحيى له فيقال ومن خلق الحب فذلك فسؤال هو فيقال
خالق الحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك
اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك
وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم
بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله و
انما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فانه
هو الذي خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق
لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك
لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة
له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم

فصل

يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق
العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فقد ربحه في الخلوص شيئا بعد
شي هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت فان تحريك
البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شي منها
اليك ومن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب
بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ مكنهم
من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث
الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل
ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم
روي ان ايوب على نبينا وعليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء
وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة
آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه
على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى

ولله

ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلعم ما منكم من
احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا
هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة
عن الاعجاب بها

المقالة الثالثة في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها خمسة ابواب

المقالة الثالثة

الباب الاول

الباب الاول

في معرفة الدنيا والاخرة فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك
والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت
فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي
الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لان
ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو
من الاخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار قوته فان العالم قد يانس
بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمناكح والمطعم في لذته لانه
اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة
لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس
بعبادته ويستلذها بحيث لو منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات

عليه جحّر قال بعضهم ما اخاف من الموت الا انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول ان
من جملة العمل الصالح الذي هو من الآخرة التعرض للرزق قال النبي صلعم العبادة
سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلعم ملعون من القى كلّه على الناس
وقال امير المؤمنين ع اوحى الله تعالى الى داود انك نعم العبد لولا انك تاكل
من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود اربعين صباحا فاوحى الله
عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد وكان يعمل
كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة
وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال النبي عليه السلام الدنيا دنياوان
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر ع من طلب الرزق في الدنيا استعفافا
عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقى الله عز وجل ووجهه مثل القمر
ليلة البدر وقال الصادق ع الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال
ع في رجل قال لاقعدنّ في بيتي ولاصلينّ ولاصومنّ ولاعبدنّ ربي
فاما رزقي فسياتيني قال هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وقال ع ان
الله ليحب الاغتراب في طلب الرزق وقال له رجل والله انا لنطلب

الدنيا

بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها
الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال ع تحب ان تصنع بها واتصدق بها واحج واعتمر
فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة وقال ع ليس منا من ترك دنياه
لآخرته ولا آخرته لدنياه وقال ع لا تكسلوا في طلب معايشكم فان آباءنا كانوا
يركضون فيها ويطلبونها وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن ع يعمل
في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال
فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقلت ومن هو فقال
رسول الله صلعم وامير المؤمنين ع وآبائي عليهم السلام كلهم كانوا قد عملوا
بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين

فصل

اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني
طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب وطهارته
لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله
والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام
الفكر وهذه الصفات هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات
الصالحات وقد ورد في الخبر ان اجل العبد تمام تغافل عنه فاذا جاء العذاب

من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه
الحديث وان الانس والمحبة فهما يوصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة و
انما السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة
وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق
تعوقه من الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت
من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا
من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب
الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع
اليه وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن
سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي
الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها
وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس
والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة
اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا

مزرعة

في حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا
والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة
ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب
ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب
فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلعم حلالها حساب وحرامها عذاب بل
لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر
على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك
في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع
قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات
لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع
الازمان والدهور دون غاياتها وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره
من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام وضع راسه على حجر لما
نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عم في ملكه
كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك

على نفسه بهذا الطريق أيضا وثانيا فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجود الشهوة والتمكن

سقط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظر لهم

وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه

ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا

ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله ليس من الدنيا فصل قد ظهر مما ذكرنا

ان الدنيا عبارة عن العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه

اشار بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة

امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة و

تفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل

هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات

من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا

والله عنده حسن المآب فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع

العبد

العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى

يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب

المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة

وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة

واما الظاهرة فهي الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح

هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق

مشغولون بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب

الحاجة اليها واقتصروا عليها ثم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقهم

لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتشعبت الاشغال واتصلت

بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة

الاشغال ونسوا مقصودها وكل ما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا الباب في ما ورد في

ذم الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما

عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها

واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها

حتى عجزوا عن مرارة الفرقة مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها
ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما
كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة
ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون
بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة ولا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون والايات والواردة فى ذم الدنيا
كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى
الاخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى
الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيه
ليكون اعون زجا للغير مما لا يحصى فعن الصادق ع قال خرج النبى صلعم
وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد
هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها

ماشئت

ماشئت من غير ان تنقص شيئا عندى فقال رسول الله صلعم الدنيا دار من لا دار له ولها
يجمع من لا عقل له فقال الملك والذى بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله
فى السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله بجدى
اسك ملقى فى مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوى هذا فقالوا لو كان حيا لم
يساو درهما فقال النبى صلعم والذى نفسى بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدى
على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله ان فى طلب الدنيا اضرارا بالاخرة
وفى طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه
ع قال قال رسول الله مالى وللدنيا انما مثلى ومثلها كمثل راكب دفعت له شجرة
فى يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه ع قال كتب امير المؤمنين ع الى
بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسى بتقوى الله من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره
ولا الغنى الا به فان من اتقى الله عز وقوى وشبع وروى ورفع عقله عن اهل
الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة فاطفأ بضوء قلبه
ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله
بالحلال الصافى الا ما لا بد منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى عورته
من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته
ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت

الاضلاع وغارت العينان فابلاه الله لمن ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر لديه في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غدٍ فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً وقرضوا من الدنيا تقريضاً الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عباداً كمن رأى اهل الجنة

في الجنة مخلدين وكمن رأى اهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن علي بن الحسين عليهما السلام انه سئل اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب منه

ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو
والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقالت الانبياء والعلماء بعد معرفة
ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر ع
انه قال لجابر يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا
وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها
يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الآخرة
يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة
وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا باذانهم
ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا
بذلك العلم الحديث وعن الصادق ع قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في
الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا و
الآخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا
وقال اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل
الدنيا كانه خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال
ان القلب اذا صفى ضاقت به الارض حتى يسمو وقال جعل الخير

كله في بيت وجعل مفاتحه الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلعم لا يجد
الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه ع من زهد في
الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا
داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وعن الكاظم ع
قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من
الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالآخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحديهما
وارتدي بالاخرى وعن الرضا ع قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل
لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا
اصابوا دنياهم فصل وعن النبي صلعم لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر وقال صلعم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله
وفي ... الهكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما
تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلعم
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع
خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا

لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال صلعم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار
الحطب وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى لا تركنن الى حب الدنيا
فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك منها وقال عيسى على نبينا وعليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت
ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم
ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن اصبح والدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا
بعمله وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك
فتخسرهما جميعا وقيل للحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل والآخرة لمن هي قال لمن طلبها
وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من
يطلبها فصل ولنذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وقال النبي صلعم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال صلعم في قلة ما بقي من الدنيا
بالاضافة الى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره
فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلعم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وكتب امير المؤمنين صلوات الله عليه الى سلمان رضي الله عنه يمثل لها فقال مثل
الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته عنه مكروه والسلام وكان الحسن ابن علي عليهما

السلام

يتمثل بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وعن الباقر عم في صفة
جابر فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه
شيء وقال انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظل وعن الصادق عم مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة
القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن الصادق عم مثل الدنيا مثل ماء
البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا وعليه السلام كوشف بالدنيا فرآها
في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك
او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف
تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر وقال عيسى عم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال و
انهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص معلق في بئر مشدود وسطه بحبل
وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر
جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك
الشخص مع انه يرى الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار
ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتفت بما اصابه من
محاربيه لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته
فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان
للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء
الدنيا المتزاحمون عليها وما احسن انطباق هذا المثل على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ونعوذ به
من الغفلة والغواية الباب الثالث في حب الجاه اعلم ان رفعة الدنيا كثيرة الشعب والاطراف
واسعة الارجاء والاكناف ولكن من الاحوال اعظم فتنتها واطم محنتها واعظم فتنة فيها

انه لا غنى عنه ثم اذا وجد منه قدر الحاجة فان فقده حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات وتمييز خيره من شره من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع فيما بايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد حالتان امساك وانفاق وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور مشتبهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلعم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلعم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله صلعم ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه

فصل واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال رسول الله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الابد وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلعم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا

فصل اعلم ان مثل المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز

ان يحترز من شره ويستدر خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية

والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي تحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين

ومنها ثلاثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام واما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية

ويكتسب به الاخوان والاصدقاء بجزاء ما يكتسب به الحمد واعانة وما عزل

الى اوقات متمادية فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة
من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق
وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب واما الآفات
فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة انواع الاول انه يجر الى المعاصي فان
الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة
ان لا تقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته
اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة
يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر
وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد والفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر
صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك
لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام على نبينا عليه وفي ملكه فاحسن
احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده

ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على
التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب
والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر
ماله كثر حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي
الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم
عن هذا اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه
الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي
التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك
يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك
عنه احد وهو انه يلهيه لذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث ان يأخذه من غير حله
فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله
اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى
والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح
متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته وخصومة الشركاء ومنازعتهم

المرايات ... عبادت ... (marginal gloss)
العامة تقول شوم بغير الهمزة والفصيح ... الفصيح شؤم بالهمزة جامع
الداء العضال داء مشكل العلاج صعب الانقلاع
الفلاح ... والمزادعة ... البستان والزرع ... الضيعة العقار من الاموال كالارض والباقين والمطلع ... صاحب المزارعة

في المال المحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في
العمارة وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره
في العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال
وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال بالفكر مترددا
فيما يصرف اليه كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس
عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه او سنته في
سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الآفة الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال
من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال وكسبها
فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم
وآفات **فصل** اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع
الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف
كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر العمل في التشوق
الى الكثرة وطول الامل فانه عز القناعة وتشوش لا محالة بالطمع
وذل الحرص وقلة القناعة وجرّه الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق

وارتكاب المنكرات

المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله
صلعم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ورائهما ثالثا ولا يملأ جوف
ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلعم يشيب ابن آدم ويشب فيه
خصلتان الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة و
غريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن
هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود
يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم
تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقال ليس الغنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
وقال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يا ابن آدم
ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وقال الباقر ع اياك
ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه صلعم ولا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم وقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء الى ما متعنا فاذكر عيش رسول الله

الوقود بالفتح الحطب جلا ... السعف بالتحريك شاخ خشك ... خرما

م فانما كان قوة الشعور وحلاوة الثمرة وقوده السعف اذا وجد وقال الصادق عم ان الله
يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن
ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني وقال عم كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا
في معيشته وقال عم في مناجاة موسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته

قتر عليه وعلى عياله ای ضيق عليهم في النفقة

فصل

فصل لا تنجو من غائلة المال الا بالمحافظة على امور الاول ان يعرف
مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا
قدر حاجته والثاني ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب
عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة والثالث
ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي
الحديث النبوي ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من
حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع
في غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق
والامساك فيأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا

عيلة درويش وبي چيز شدن

بنفسه الحقارا

فيه استحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال قال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه
عليه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه
ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد ان قيل ايهما افضل الغنى بنية الاشتغال
على العبادة ام الفقر بنية التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد
عن الله تعالى فان كان الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى
يشغله عن الله فالفقر اولى به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب عدم
تعلق القلب بالمال وفقده فان تساويا فيه تساوت درجتهما
الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه
منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به
وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا
الانبياء والاولياء وانى ذلك محال او بعيد فليطلق القول
بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه
بالدنيا اضعف غالبا وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب
تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان والابدان ليست مرادة

لا يعبأ بها بل يتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثير في اثارة الانس فقلت شغول ولهذا ورد
في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم وصل ليس معنى الفقر ان لا يملك شيئا
البتة قال الصادق ع في كلام له مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه
كانت عنده اوقية ما يعطيها فلامه السائل فاغتم اذ حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان اوقية من
الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم
هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رفيقا صلى الله عليه وآله وسلم فادب الله
تعالى نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس قد يسئلونك ولا يعذرونك فاذا
اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال فلا ثم من
علم بعلمه فعله وزهده سلمان الفارسي رضي الله عنه وابو ذر رحمه الله
فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من
قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت
لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون
لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث

على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت واما ابو ذر
فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف
او رأى باهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب
عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من
هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلعم ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان
البتة كما تأمرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون على انفسهم وعيالاتهم
واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي عن آبائه ان رسول الله صلعم قال يوما
ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان
خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكل ما يصنع
الله به فهو خير له

فصل

قد ظهر مما ذكرناه انه لا خلاص من تبعة الدنيا وآفاتها
الا بالزهد فيها وهو ان لا يريد بقلبه الا قدر ضرورة بدنه وهو مقام قال الله تعالى
فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير ... نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال

عزوجل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب وقال
النبي صلعم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل
فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة
جمع الله له اليه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا
منه فانه تلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي
الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية فليزهد في الدنيا وللزهد ثلاث درجات السفلى ان يكون
المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة وهذا زهد الخائفين و
الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد
الراجين والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة في ثواب الله
ونعيم الجنة الا في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار
احكامه ينقسم الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام

والنفل هو

والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة قال
الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير
تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض
لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون زائدا كارها من الآفة معتصما بالراحة
والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على
الشبع وعافية الاجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة وتكون نفسه في الدنيا
وقلبه في الاخرة وسئل الصادق ع عن الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق
منك بما عند الله وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه الزهد في الدنيا
باضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق
منك بما عند الله وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الزهد في الدنيا قصر
الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عزوجل وقال صلوات الله
وسلامه عليه الزهد كله بين كلمتين من القران قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتيكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد

يطرقه ولعل انه تمام في معناه **فصل** اعلم ان ثمرة الزهد السخاء ومن
ثمرة الرغبة في الدنيا البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال
العبد القناعة وان كان موجودا ينبغي ان يكون حاله السخاء واصطناع
المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة
وعنه عليه السلام حيث قال السخاء شجرة من شجرة الجنة اغصانها متدلية
على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال
قال جبريل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء
وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال صلى الله عليه وسلم ما جبل الله اولياءه الا
على السخاء وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام و
افشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله
اخذ بيده كلما عثر اقاله وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل
داء وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من
الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس

بعيد من الجنة

بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل
وادوى الداء البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال
مع الحاجة اليه قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته
واثر على نفسه غفر له وينبغي للفقراء ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل
عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن
ظهر غنى قال النبي صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة
الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض
ماله مائة الف تصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك
غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب
مائة الف درهم واعلم ان الامساك حيث يجب البذل بخل
والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو
المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر

رسول الله صم الآبات سخا وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال تعم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط و
القبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان
يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه بل ينبغي
ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو
صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروة وعادة وواجب المروة و
العادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة
ما لم يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في
المبالغة والمعاملة الى غير ذلك وبالجملة حد البخل امساك
المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال وفي مقابلته
السخاء والجود

الباب الرابع

في ذم حب الجاه اعلم ان اصل
الجاه وهو انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة عظيمة

وجهة لانوم

مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه
قال الله تعم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا وقال النبي صلعم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه
والمال في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس باتباع الهوى وحب
الثناء وعنه صلعم حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه
بالاصابع في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه
تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار
وتغيظ الفجار وقال الصادق ع اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون
فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال ع ملعون
من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي
صلعم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسألك
الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه ص ان اليسير من الرياء
شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة

ضاريان شكار كننده

خفق الارض بنعله

الطمر بالكسر الثوب الخلق

واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى
الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها
وطاعتها ليتوصل باستعمال اربابها في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب
الاموال بانواع من الحرف والصناعات وكذلك يكتسب القلوب بانواع
من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد
القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده
وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا
في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس
كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده
فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة للاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء
والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك
ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب
الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو
خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا

وينبغي

وينبغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة
له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون
قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه وللجاه
ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده
فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده
وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم
الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد وملك القلوب يرجح على
ملك المال من وجوه الاول التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم
او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال
ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل
الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله و
اراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض للتوى
والتلف لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى
الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم
تتعرض لهذه الآفات فان ذلك الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة

الاطراء المدح ...

التوى الهلاك

فيها انعم انا نغتصب القلوب بالتضريب وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من
اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه والثالث ان ملك القلوب يسري وينمو
ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت لشخص و
اعتقدت كماله بعلم او عمل او غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف
ما تعتقده لغيره واستطار في الاقطار فاقتضت القلوب ودعتها الى
الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد
معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب
ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء
جميع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا
انه قط لم يطأها ولم يشاهد اصحابها ليعظموه او ليعينوه على غرض من اغراضه فله
سببان احدهما جلي والآخر خفي يدق عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء و
ذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه
الا الغواصون اما مهما الجلي فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن
مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله
ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله
هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر

يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة
ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من
ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى
بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله
موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك ورد منهومان لا يشبعان منهوم
العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد
عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك
عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى
ان الروح امر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية بالطبع
ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت
النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال مشتهية
له ملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل محب موجود فهو محب لذاته
وللكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من
ذاته فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج
اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد
واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة فصل اعلم ان الكمال

الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا
العلم بالله وصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب
الدنيا والآخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص عن أسر الشهوات وغموم
الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبيها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة
ولا يستهويهم الغضب اما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة نحو
لغة العرب وتفسير القرآن والفقه والاخبار ومعرفة طريق تزكية النفس
لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال الله عز وجل قد افلح من زكيها و
قال و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة
الى معرفة الله والى تحصيل الحرية فمما لا بد منه بالعرض واما القدرة
فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة
الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته
وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة
القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه
وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه

القوى

القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القدرة
بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم
يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية
التي تنقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت
اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ان تنقطع
بالموت ومن ظن كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون
ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى
تعظيم بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه
طلبوه ولما احبوه اشتغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب
القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفقهوا قوله تعالى المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات الآية التي تبقى كمالا للنفس
والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه
الرياح وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت
فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه

كال وهم لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر
البلغة منها لا الكمال الحقيقي فبعض حصر لا يجاوز في القول ولهذه العلة
الذم ايضا ويكره لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب
المادح ملك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك
القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر مما
يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ولهذه العلة ايضا
يكره الذم ويتألم به القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح
سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله
ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملاء والسبب الرابع ان المدح
يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء
عليه اما عن طوع واما عن قهر وان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر
والقدرة وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ
ويندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان
كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على
قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء

فصل اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد
بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في افعاله واقواله ملتفتا الى ما يعظم منزلته
عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل
في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك
شبه رسول الله صلعم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال
صلعم انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن
بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق
معهم والى التظاهر باخلاق حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق وعلاجه
العلم ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس
وعلى قلوبهم ان صفى وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات
بل لو سجد لك كل من على وجه الارض والى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا
ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن
فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينيه الا ان
ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر

العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد
نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى
فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة الى غير ذلك من الآيات فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه
بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب
الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على الدوام
على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر
في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق
يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب
وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله تعالى
وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة
الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة
فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي
ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من

الاخطار جمع الخطر وهو الاشراف على الهلاك

حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق
والاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي
هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت بمقصودها ولو
تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه
وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن
قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به
وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في
قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع
استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته
بالقلوب وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه
ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة الى غير ذلك
وحب المدح كحب الجاه حرمة واباحة ونفعا وضرا وعلاجه علاج حب
الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح بها ان فقدت فاستهزاء وان
وجدت فالدنيوية كمال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة و

ربع المنجيات ... الأصل الخامس ... والغالب ... المجمع ... عقبات

وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذموم بها ان وجدت فيه فيه الفرح والشغل بالازالة
وان فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر للنعم والترحم عليه حيث اهلك نفسه كما قال النبي صلعم
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما انكسرت رباعيته وشج وجهه والانسان يفرح بمدحه لاجل علاقة وخصوص
علاقة بنفسه فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر اللائم عليها ويعتقد فطنته وذكاوته لما
وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة
اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها
فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه
الخصلة الواحدة وهي ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره
الا ان بينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها
الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل الباب الخامس في ذم الغرور وهو
سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن
اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور قال الله
تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي صلعم
حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب
تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلعم الكيس من دان نفسه وعمل

لما بعد

لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني والممثل للغرور مثلا للايضاح اما
الكافر فغرته الحيوة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة النقد خير من النسيئة
والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك
ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة
تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة
بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدق الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله
باق وقوله والاخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما البرهان وهو ان
يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما ان
الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسيئة وهذا محل
التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو
خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ
عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه فاذا حذره الطبيب الفواكه و
لذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد
ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة و
الربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا
حيث مدتها الى مدة الاخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة

شك فهو اكثر فسادا من الاول كلي اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر
في سعيه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم
على شك والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك والصياد في تردده في
المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب
العقلاء فمن شك في الآخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر ايام قلائل وهو
منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما
يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وان كان صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق واما الاصل
الثاني وهو ان الآخرة شك فيها ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق للانبياء والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبياء والاولياء اذ كشف لهم
حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد المحسوسات بالبصر
الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم و
بالسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما
اخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم
الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم
فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم
فيقولون

فيقولون ابؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقياسهم انه قد
احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل
ايضا والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد
اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل
على الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله
يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما ورد في الخبر
وهذا المغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد
قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب
كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ومنشأ هذا
الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال
هذه الخيالات وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وكيف احسن الله
اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ولا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون فصل اعلم ان فرق المغترين كثيرة وجهات غرورهم
مختلفة فمنهم من يرى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال
الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ
الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره كالذي

يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة على الوسواس في النية او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت ثم لا يحضر قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية او الحروف تميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القرآن فيهذه هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه مترقد في اودية الاماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولم يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لمكس الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه ويظن انه على خير ولو تم غيره او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر بالخير وينسى نفسه فاذا امر عنف وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وانما غرضه الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات او اهمل تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق

الردية

الردية واغتر بعلمه وظن انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من يعجب بنفسه ويظن انه منفك عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخائل الكبر والرياسة وطلب العز والشرف قال ما هذا الكبر انما هذا الطلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في غيره من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي وانما فرحي بثواب الله لا بقول الخلق هذا ما يظن بنفسه والله مطلع على سريرته ومنهم من يشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمانه الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم

لا نفع فيه وفي الحديث النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بعلم
واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
ونظائرها وظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعى الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك
عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه
الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون عنها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد
بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤا تاويل
الالفاظ واغتروا بالظاهر لظواهر واخطاؤا فيها وذلك مثل فتواهم بان المراة مهما
ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطاء بل الزوج قد يسئ
الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص
فتبرئ الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن
شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس كالانسان
يريد الحجامة بقلبه ولكن يكره بها نفسه فاما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة
تقابله وكذلك لو طولب من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه و
كان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس وسؤاله في مظنة
الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر
عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك من يعطي اتقاء الشر جاه لسانه او لشر سعايته

فهو حرام

فهو حرام عليه فصل ومن المغترين قوم يسمون باهل الذكر والتصوف يدعون الارادة من التصنع
والتكلف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار
يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا
رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم
بالنداء وصاحوا صيحة الشنعاء ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود و
مجاورة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور الا الاسماء
ولكنه تلقف من الطامات الكلمات تردد على لسانه كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن
السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء
متعبون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه
نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا هذب ياتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم
مكة للحج يزدحم عليه الجمع ويلقون اليه السمع وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه
معبودا يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه ياذن لهم في الشهوات ويرخص لهم
في الشبهات بالاكل يأكلون كما تاكل الانعام ولا يبالون بالحلال اصابوا ام من حرام
وهو يحلو انهم هاضم لدينه وادیانهم حاطم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون فصل واما ارباب الاموال ففرقة
منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطير وما يظهر

الناس كافة باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون اسماءهم بالاحجار عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد
الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم
ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على ما كتب اسمه لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس
لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وبنا المساجد ربما يكونون في جوار اصحابهم او في بلاده فقير وصرف
المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات
وعلى الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر
والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقير لما اخذ منهم
جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات
البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران
وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرج من
المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد
في حاجته ويظن انه ادى ما لله واصناف الغرور لا تحصى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل
بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك
ان لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك
لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مامولك

وهواك

هواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك
في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا
والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في
علم الله وربما توهمت انك تدعوا الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح
للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها
في الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله
والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم والحكمة
الشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد
اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة المقالة الرابعة في
مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها ستة ابواب الباب الاول في الصبر وهو ثبات
باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فعلى الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة
صبر مطلقا وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود
وشق الجيوب وعن شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره وفي الغنى
ضبط النفس وضده البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن وفي كظم الغيظ
وضده الغضب وفي النوائب سعة الصدر وضده الضيق والضجر والتبرم
وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاذاعة وفي فضول العيش زهد وضده الحرص

ومدد باعث الدين من الملائكة القاهرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين
لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته
التحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق
باتباع الشياطين وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا وهو
اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله سبحانه الصابرين
باوصاف وكرر ذكر الصبر في القران واضاف اكثر الخيرات والدرجات اليه
وجعلها ثمرة فقال عز من قائل وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا و
قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين
الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة
الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه معهم فقال
واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصر على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و

اولئك

بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة

اولئك هم المهتدون واستقصاء الآيات في مقام الصبر يطول وقال النبي صلى الله عليه وآله الصبر نصف الايمان وقال من اقل
ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار
وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة
الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال امير المؤمنين ع بني
الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الباقر ع من لا يعد الصبر لنوائب
الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذاتها وشهواتها
دخل النار وقال الصادق ع من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف
شهيد وقال ان الله تعالى انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما
بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة والاخبار في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى

فصل اعلم ان ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه و
الآخر ما يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر
اما ما يوافق هواه كالصحة والسلامة والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة
الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط نفسه عن
الاسترسال والسكون اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها اخرجه ذلك الى
البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قال بعض العارفين البلاء يصبر
عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن
العصمة ان لا تقدر والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضر

الاطعمة الطيبة اللذيذة وقد رعليها واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلوا اما ان يرتبط باختيار العبد
كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام
منه فهي ثلثة اقسام الاول ما يرتبط باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية
اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر من العبودية وتشتهي الربوبية كما سبق
بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره
بسببها جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر
عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص عن شوائب الرياء
ودواعي الافات والثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق
ادابه وسننه ويدوم على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن
افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره
واما المعاصي فاشد انواع الصبر عنها الصبر عما كان مالوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية فاذا
انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين على قمعها
ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من
الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك والايسر من حركة
اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس الا بان يغلب على القلب هم اخر في الدين
يستغرقه ومن اصبح وهمومه هم واحد واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك
له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان فهو تضييع زمان

والة العبد

والة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالاوذى بفعل او قول او جنى عليه في
نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافات قال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي
صلعم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار
اوله واخره كالمصائب من موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر
مستند الى اليقين قال النبي صلعم اسئلك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا وقال صلعم ما من
عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني
خيرا منها الا فعل الله ذلك وقال صلعم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او
ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا
او انشر له ديوانا وقال صلعم الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية
فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة
ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش وعن الباقر عليه السلام الصبر

صبرا ان صبر على البلاء احسن جميل وافضل الصبر الورع عن محارم الله فصل ان قلت فما ذا ينال درجة
الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى قلت ان كان المراد به ان لا يكون في نفسه
كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار فاعلم انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس
والمفرش والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة تحت الاختيار فينبغي ان يجتنب جميعها
ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة
فاسترجعت ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع اذ كان
ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد
النبي صلعم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من
عباده الرحماء وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب بل ذلك
لا يخرج عن مقام الرضا فان المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه
لا محالة نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصائب وقد قيل من كنوز البر
كتمان المصائب والاوجاع والصدقة وعن الباقر ع قال قال رسول الله صلعم قال الله
تعالى من مرض ثلاثا فلم يشك الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان
عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتي وفي معناه اخبار اخر وفي
بعضها فسر التبديل بخيرا بان يبدله لحما ودما وبشرة لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان

يقول ابتليت

عواده جمع عائد من العيادة وعيادة المريض معروف

قوله ابتليت ... الشكوة ١٢

شكاية شكوى شكاية

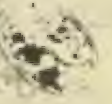
ابتليت بما لم يبتل به احد واصابني ما لم يصب احدا قال وليس الشكوى ان تقول سهرت البارحة وحممت
اليوم ونحو هذا وعن الصادق ع من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله شكرها كانت
كعبادة ستين سنة سئل ما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على
ما كان وسئل الباقر ع عن الصبر الجميل فقال ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس وعن
النبي صلعم من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك و
اما الشكاية الى الله تعالى وسؤال الرفع فحسن قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني
الى الله فصل الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى
بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع وقبحه وان يكثر
فكرته فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وان يعلم ان ثواب الصبر
على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى بعد الا
الحيوة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات
الخسيس في الحال وان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر
بها فيستجرئ عليها ويقوى نيته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد
القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان
ذلك بتعب قوي فتصبر وان كان بيسير فصبر وان كان ذا جهل فرضا وان كان
بتلذذ فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التميز بين
الالم واللذة الباب الثالث في الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط

قد رآه الله شهود رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلعم انه سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة
ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي
خبر آخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد ع الصبر والرضا عن الله
رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره
الا ما هو خير له وعن الباقر ع احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضي بالقضاء
اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط بالقضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره و
عن الصادق ع ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه ع ان فيما اوحى الله الى موسى بن
عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليه لما هو خير
له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي
اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم ع ينبغي لمن عقل عن الله تع ان
لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة
والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض
بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه
له فهو الاصلح بحاله وان لم يبلغ علمه سره ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء فان ما قدر
يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة وتبقى
تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق والحريص
وان يهون عليه للعلم بجزالة الثواب الشدة كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر

فيفوض

فيفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد وقال الصادق ع لم يكن رسول الله صلعم يقول لشيء قد مضى
لو كان غيره فصل اعلم ان من المحن فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما
الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله
تع واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب و
يكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه
المؤلم ولم يحس به ويصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب
فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم
استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس
بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به
لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد
يصيبه ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب
على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة
الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال وجلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش
ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه
ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي
يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب

فيه ويتلذذ منه المتنة فهذا حالة الرضا بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته بلية من
الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه
واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز
ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحبوب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى
آخر وراه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود
في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم



وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه
يوسف الصديق كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس
بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن
بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص
مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي
عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه
مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في
قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس
وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه
فصل اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت

اهلها وم

اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد غلط في ذلك
قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره
فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به
وكثرت ادعية الانبياء والائمة عليهم السلام وكانوا في اعلى مقامات الرضا قد اثنى الله عز وجل
على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم واما انكار المعاصي
وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها وقال ورضوا بالحياة
الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر
المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الاخر لو ان عبدا قتل بالمشرق
ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله واما بغض الكفار والفجار ومقتهم
والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القران والاخبار لا يحصى وقد ورد اوثق
عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فان قلت فقد وردت الايات والاخبار
بالرضا بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع
بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد
فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس
على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن
الخلق وهو الجهل المحض بل نقول الرضا والكراهة متضادان اذا تواردا على شيء
واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به

اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث
انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها
وجهان وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من
هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضاء بما يفعله فيه ووجه الى العبد
من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث
سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر مذموم ويشهد لذلك كل
ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصر فواجب على كل عبد محب لله عز
وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته وان اضطره بقهره وقدرته الى
معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب
عليه بابعاده وبهذا يجمع بين ما ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضاء
بقضاء الله وهذا يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان
الشر والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي
به وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت عنه والتأدب بادب الشرع
فقد ظهر الغرض من غير حاجة الى الكشف الصريح فصل واما الشكر فهو عرفان
النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد
لله واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها
من الله وانه هو المنعم والوسائط مسخرون من جهته واما الذي انعم عليك

هو الذي

على انفراده

هو الذي سخرهم لك والقى في قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال اليك
فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب واما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع
والتواضع فهو ايضا في نفسه شكر على حدة كما ان المعرفة شكر فان كان فرحك بالمنعم خاصة لا
بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انه تقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو
الرتبة العليا في الشكر وامارته ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها
وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب واما
العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق
بالقلب واللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله
في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستر كل عيب
تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في
جملة شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول من كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار
انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما
بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها
على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن
غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر و
لا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا ببقاء البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء
والهواء والنار ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق سائر الاعضاء وكل ذلك
لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة و

الشاكر المنعم

الذر فراموش كردانيدن

التوقي من الوقاية

التجافي التباعد

والمعرفة فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها
لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال عز وجل ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وعنه الصادق قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الطاعم الشاكر
له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطى
الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع وعنه ع قال من أُعطي الشكر أُعطي الزيادة قال
الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وعنه ع قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله
ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن الباقر ع قال كان رسول الله صلعم
عند عايشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلعم يا عايشة الا اكون عبداً شكوراً قال وكان رسول
الله يقوم على اصابع رجليه فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القران لتشقى و
عن الصادق ع شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب
العالمين وسئل هل للشكر حدّ اذا فعله العبد كان شاكراً قال نعم قيل ما هو
قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم عليه في ماله حق
اداه ومنه قوله سبحانه سبحان الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه
قوله رب انزلني منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً وعنه ع قال كان
رسول الله صلعم اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه
امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر ع قال اذا ذكر احدكم نعمة الله

فليضع خده

فليضع خده على التراب شكراً لله فان كان راكباً فلينزل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر
على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله
على ما انعم عليه فصل انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله
وان شكره عليها ايضاً نعمة من الله تحتاج الى شكر آخر وهكذا قال الصادق ع اوحى الله
عز وجل الى موسى على نبينا وعليه السلام يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب كيف
اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي قال
يا موسى الآن شكرتني حين علمت ان ذلك مني وعن السجاد ع انه اذا قرأ هذه الاية وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها يقول سبحان من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها
كما لم يجعل في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر تعالى معرفة العارفين
بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما علم علم العالمين بانهم لا يدركونه
فجعله ايماناً علماً منه انه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فان شيئاً من خلقه لا يبلغ
مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علواً
كبيراً وعن الصادق ع قال اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي
من نعمة او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها
علي يا رب حتى ترضى وبعد الرضى فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم الله
به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية كان نوح يقول ذلك اذا اصبح فسمي
بذلك عبداً شكوراً وعنه ع مكتوب في التورية اشكر من انعم عليك وانعم على من
شكرك فانه لا زوال للنعماء اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم

المدى الغاية

واما من الغريب من تغير احوال وانتقالها من الصلاح الى الفساد وعن السجاد ع قال ان الله
تعالى يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيمة
اشكرت فلانا فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم لله اشكركم
للناس فصل اعلم ان النعم اما دنيوية كالصحة السوية والملاذ الشهوية وصرف المفاسد
والمضار واما دينية كالاسلام ومعرفة الائمة المعصومين عليهم السلام والتوفيق على الطاعة
والعصمة عن المعصية والدينية اعظم لايصالها الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة
السرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية واغتنام الابرار زوال ما لا يهم منها قال الكاظم
ع من حمد الله على النعمة فقد شكره وكان الحمد افضل من تلك النعمة والطريق الى تحصيل الشكر
المعرفة والتفكر في صنايعه ونعمه والنظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى في الدين وان
تعجل عقوبته ولا تدخر للاخرة وانها كانت آتية فيفرغ منها وان ثوابها خير له وانها
تنفض من القلب حب الدنيا فهي في التحقيق نعمة اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او رياضة
النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء فعن النبي صلعم
انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول هو والانبياء
والاوصياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا
يستعيذون من شماتة الاعداء وقال رسول الله صلعم سلوا الله العافية فما اعطي
عبد افضل من العافية الا اليقين اشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل
والشك فان عافية القلب اعلى من عافية البدن الباب الثالث في الرجاء
والخوف اما الرجاء فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه

فالاصدق

فالاصدق اسم الرجاء كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة يصلها الماء و
ان فقد فالغرور والحماقة كالملقي في غير صالحة لا يصلها الماء وان شك فيهما
فالتمني كالواصلت للارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر
فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب
المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم
الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع
خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة
برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا ثم اماع بما يحتاج اليه
من تنقية الارض مما يمنع نبات البذر او يفسده وسوق الماء اليه في اوقاته ثم
جلس منتظرا من فضل الله دفع الآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي
انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل
بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث
البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار و
لا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب
تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت
وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق
وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله
تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله

وقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا وقال النبي صلعم الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواه وتمنى على الله وقيل للصادق ع ان قوما من مواليك يلمّون بالمعاصي
ويقولون نرجوا فقال كذبوا ليسوا لنا بموال واولئك قوم ترجحت بهم الاماني من
رجى شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه وقال ع لا يكون المؤمن مؤمنا حتى
يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجوا
فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل
الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك
جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجوا قبول التوبة واذا كان كارها للمعصية تسوؤه
السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ومن يشتهي التوبة ويشتاق اليها
فحقيق بان يرجوا من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة
يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب

فصل واما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه
في الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب المكروه يكون قوة الخوف وشدة تألم
القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف من الله تارة يكون
بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي
وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه و
بعيوب نفسه وجناياته يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه
ولذلك قال النبي صلعم انا اخوفكم لله وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده
العلماء ثم بعد كمال المعرفة يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح

وعلى الصفات

وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والبكاء واما في الجوارح
فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك
قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه
وقال حكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات
فهو ان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات
بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة و
الاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه و
النظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات
والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا يتسع فيه لغيره هذا حال
من غلب عليه الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال
ان يمنع من المحظورات ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت
قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى وقد يحمله على ان
يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى
دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق

وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصادق المشهور وفي التقوى الورع وفي
العفة فانها عبارة عن الامتناع من مقتضى الشهوة خاصة فاذن الخوف يؤثر
في الجوارح بالكف عن الاقدام فصل اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف
لان اقرب العباد الى الله تعالى احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء ولذلك
ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل اليأس وقال ان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وعيّر الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلعم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل على رجل
وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي
فقال صلعم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجى وآمنه
مما يخاف وقال امير المؤمنين عم لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة
ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب
ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف عم لقولك اني اخاف
ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت
الى غفلة اخوته ولم لم تنظر الى حفظي له وعن الباقر عم قال قال رسول

الله صلعم

الله صلعم قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا
واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي
فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري
ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان
رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني
انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه عم قال وجدنا في كتاب علي عم ان
رسول الله صلعم قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا
والآخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين
والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه
بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن
ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات
يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا
بالله الظن وارغبوا اليه قال الصادق عم حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله
ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله سبحانه
من دون شفيع وما من عجلا من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم به
عمنا في الآجل من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب و
الاخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر من ان تحصى ولا حاجة بنا

لا يتكل العاملون على اعمالهم اي لا يعتمدوا عليها وان اتوا بها حينئذ تامة الاركان وذلك لان المفسدات الخفية كثيرة جدا وقل ما يخلو عمل عنها وا في

وورد في الدعاء يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يا من سبقت رحمته غضبه

المحبوب بالكسر الاثم نفي حبت بكذا اب اثمت منه قدس سره

الى ذكرها لان المحتاج الى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف او الياس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغترون بما هم فيه من الفساد والحوب كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها الا في طغيانهم تماديا وفي فسادهم فسادا فصل اعلم ان الرجاء محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو خسر ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان جاوز الى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى الياس فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والاصلح ان يعتق بما قال امير المؤمنين ع لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وعن الباقر ع ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء في غالب الناس فمستند الى الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها تقطع نياط القلب

نياط رگيست در دل

النياط بكسر عرق في القلب معلق القلب به من الوتين فاذا قطع مات صاحبه

ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله تع ليكون محبا للقائه فان احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم على محبوبه وخلاص له من السجن فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله تعالى فصل اعلم ان الخوف من الله تع على مقامين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع للاخلو عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء

وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على اسرار
قوله ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته قال الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وقال عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال
النبي صلعم الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنسوب الى السجاد ع سبحانك
عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الصادق ع من عرف الله خاف الله ومن
خاف الله سخت نفسه عن الدنيا وقال في العبادة شق الخوف من الله يقول
الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تع فلا تخشوا الناس واخشوني و
قال من يتق الله يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب
الخائف الراهب وقال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع
الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا و
لا يصلحه الا الخوف وقال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا حتى
يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله
كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك
فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون
الناظرين اليك وقال ع من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف
الله اخافه الله من كل شيء وعن النبي صلعم ما من مؤمن تخرج من عينيه

دمعه وان كانت

دمعه وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله
على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات
من الشجر ورقها وروى الصدوق في عرض المجالس عن ليس بن ابي سليم قال سمعت رجلا
من الانصار يقول بينما رسول الله صلعم مستظل بظل الشجرة في يوم شديد الحر اذ
جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة
ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما
يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي صلعم ودعاه فقال له يا عبد الله
لقد رايتك صنعت شيئا ما رايت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت
فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله
اعظم مما صنعت بك فقال النبي صلع لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي
بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم
فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا و
الجنة مآبنا وحديث بهلول النباش مشهور وفي الكتاب المذكور روي عن
الباقر ع قال صلى امير المؤمنين ع بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى
وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول
الله صلعم وانهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا وبين اعينهم كركب
البعير يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون
ربهم في فكاك رقابهم من النار وفي رواية اخرى كان زفير النار في اذانهم

اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين قال ثم قام فما رئى ضاحكا حتى قبض

واما خوف الملائكة والانبياء والاولياء والائمة الهداة كخوف ميكائيل وجبرئيل و نبينا وابراهيم الخليل وداود ويحيى وسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليرجع اليها من شاء فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره

فصل اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى مكروه كالمعاصي لادائها الى مكروه في الآخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد هذين القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة اما الخائفون مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او ما لا يدري لعله يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته

سوء حال

في حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق من القضاء في ام الكتاب واليه الاشارة بما رواه الصادق عم قال خطب رسول الله صلعم الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير وعنه عم قال يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة واما الخائفون مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف

من النّار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنّة دار النّعيم و الملك المقيم و
من نقصان الدّرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة و هو خوف
العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزّاهدين وكافة العاملين ولا يخفى
ان فضيلة الشّيء بقدر اعانته على السّعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله
ولا وصول اليها الّا بتحصيل محبّته والانس به في الدّنيا ولا تحصل المحبّة
الّا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الّا بدوام الفكر ولا تحصل الانس الّا بالمحبّة
ودوام الذكر ولا يتيسّر المواظبة على الذكر و الفكر الّا بانقلاع حبّ الدّنيا
من القلب ولا ينقلع ذلك الّا بترك لذّات الدّنيا وشهواتها ولا يمكن
ترك المشتهيات الّا بقمع الشّهوات ولا تنقمع الشّهوات بشيء كما تنقمع
بنار الخوف فالخوف هو النّار المنقمع للشّهوات فاذن فضيلته بقدر
ما يحرق من الشّهوة وبقدر ما يكفّ عن المعاصي ويحثّ على الطّاعات و
يختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيّنّاه. فصل اعلم
ان لسوء الخاتمة اسباب مختلفة وترجع الى ثلاثة امّا السّبب الاوّل وهو
الاعظم وهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله امّا
الشكّ وامّا الجحود فتقبض الرّوح في تلك الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله
نعم ابدا وذلك يقتضي البعد الدّائم والعذاب المخلّد وسبب ذلك ان يعتقد
الرّجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحقّ امّا برأيه ومعقوله و
امّا بالتّقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا

اذ خطر الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته
او الشكّ فيها فان اتّفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان ينيب ويعود الى اصل الايمان
فقد ختم له بالسّوء وخرجت روحه على الشّرك نعوذ بالله منه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقال عزّ وجلّ هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالا الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا وهم يحسبون
انّهم يحسنون صنعا والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الّذين آمنوا بالله ورسوله و
اليوم الآخر ايمانا مجملا ولذلك ورد انّ اكثر اهل الجنّة البله وورد المنع من البحث
والنّظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشّرع مع اعتقاد نفي التّشبيه وذلك
لانّ الخطر في البحث عن الصّفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول
عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من
حبّ الدّنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة مضطرب و
متعارض والقلوب لما القي اليها في مبدء النّشو الفة وبه متعلّقة والتّعصّبات
الثّائرة بين الخلق بمسامير مؤكّدة للعقائد الموروثة او المأخوذة بحسن الظّنّ
من المعلّمين في اوّل الامر ثمّ الطّباع بحبّ الدّنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات
الدّنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا انفتح باب الكلام في ذات الله وفي
صفاته بالرّأي والمعقول مع تفاوت النّاس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم
وحرص كلّ جاهل منهم على ان يدّعي الكمال والاحاطة بكنه الحقّ انطلقت السنتهم
بما يقع لكلّ منهم وتعلّق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكّد ذلك بطول الالف فيهم و
انسدّ بالكلّيّة طريق الخلاص عنهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال
الصّالحة ولا يتعرّضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم الآن فقهم الله في الدّين وعلّمه

التأويل واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت الاحمر واما السبب الثاني فهو ضعف
الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف
حب الله وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا
من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان
فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود
ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان حتى
يصير طبعا ورينا فاذا جاء سكرات الموت ازداد حب الله ضعفا لما
يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم
القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار
ما قدر الله من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب فان
اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالشر
فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا
فهو ابعد عن هذه الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتي الله بامره واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان
وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب
بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه
عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره عند الموت

طاعة الله

طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي فربما تقبض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير
محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر
وذلك لانه كما ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره والف
بها حتى انه لا يرى الا الامثال مشاهداته في اليقظة فكذلك حالة الموت وما يتقدمه
من الغشية فانه شبيه بالنوم وقريب منه فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها
الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
نفسه اليها فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان
ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا
المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر
الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر
عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش
عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر كما تعيشون تموتون وكما تموتون
تبعثون ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول
خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت
وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلعم ان
الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق

نائمة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة للاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب
وتخطر خطور البرق الخاطف فلهذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان
ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان
كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية
تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة وقد عرفت
بهذا ان اعمال المرء كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح و
ان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكلة جدا ومن هنا قيل لا العجب ممن هلك
كيف هلك ولكن العجب ممن نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة
مغبوطا عليها وموت الفجأة مكروها اما الموت الفجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر
سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة
لم يبق في القلب غير حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد اذ لا يهجم على
صف القتال موطنا نفسه على الموت الا محبا لله وطالبا لمرضاته وبايعا دنياه
باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة. كتاب الرابع في المحبة والانس اعلم ان المحبة
هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو
ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها
كالصبر والزهد وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن
الايمان

[illegible]

الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها
وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع
الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب
وتوابعه مع ان حاق القران والاحاديث وحكايات المحبين ما هو ناص على ثبوت حقيقة
المحبة ولوازمها لله عز وجل من غير قبول للتاويل ففي شواهد القران في حب الله عز وجل
قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وقوله ان كان اباؤكم وابناؤكم و
اخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وقال النبي صلعم لا يؤمن احدكم
حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال صلعم في دعائه اللهم ارزقني
حبك وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك واجعل حبك احب
الي من الماء البارد وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عم قال لملك الموت اذ جاءه لقبض
روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء
حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وفي مناجاة موسى بن عمران كذب من
زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا
ذا يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الي من قلوبهم
ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور
يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك
الدموع في ظلم الليل فانك تجدني قريبا وروينا ان عيسى عم مر بثلاثة
نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى

فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن ما تخافون ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذاهم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذاهم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون

وفي علل الشرايع عن نبينا صلعم ان شعيبا عم بكى من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكون شوقا الى الجنة فقد ابحتك فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان هذا هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين عم في بعض ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك وعن ابن الحسين سيد الشهداء عم في دعاء يوم العرفة انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا الى غيرك وقال يا من اذاق احبائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد عم وعزتك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل احكامك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك وفي مناجاة الاخرى الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم قد [illegible]

بعبادك

بعبادك الذين هم بالبدار اليك يسارعون وبابك على الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب وانجحت لهم المطالب وملات ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شرابك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي وقال ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك ورضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك ثم قال وخصصت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين وجباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من مهابتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية

والبدار مصدر باب مفاعلة يق بادر يبادر مبادرة وبدارا والمبادرة المسارعة يق بادرت اليه اي اسرعت اليه

أنا المحبين سالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك وقد ابعث الهي ما الا خواطر الا الهام بذكرك على القلوب وما اجلى المسير اليك في مسالك الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك وقد وغلتي لا يردها الا وصلك ولوعتي لا يطفيها الا لقائك وشوق اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبريه الا صفحك وصدأ قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك واغنيت هنا في ادعيتهم اكثر من ان يحصى وعن امير المؤمنين ع ان لله تعالى شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا واذا ذابوا اخلصوا واذا اخلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم فصل

اعلم ان الحب عبارة من الميل الى الشيء الملذ انما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب وكلما كان المعرفة به اقوى واللذة اشد واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح

والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس وكما ان الانسان يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوام ذلك لعين الجمال لان ادراكه عين اللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلعم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر بل الحسن والجمال مقصوران على مدركات الحواس بل كثير من خلال الخير يدرك بنور البصيرة الباطنة واية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة على حب

الانبياء والائمة ع مع انهم لم يشاهدوهم ثم ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه
حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر
بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه وجملة خلال الخير ترجع الى العلم والقدرة
وهما محبوبان بالطبع وغير مدركين بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء وعليا ع
بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ
يناله المحب منهما ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه
للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ثم لكل محب اما ان يحب نفسه او يحب
غيره ومحبة الغير اما لخيره وجماله او لاحسانه وكماله او لمجانسة بينه وبين المحب
اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملائمة والمعرفة
ولا شيء اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا هو اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه
مفتاحا لمعرفة ربه وان لم يشعر المحب به واما الغير لخيره وجماله او لقربه من الله
ولكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء كان الجمال الظاهر الصوري او الباطن
المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل مليح حسن من جماله
وكل كامل كماله فرع كماله فما احد احب الا خالقه ولكنه احتجب عنهم تحت وجوه الاسباب
واستار الاسباب وكذا الكلام في محبة الغير لاحسانه فان الاحسان ايضا محبوب
لذاته سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله جل
شانه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه ودواعيه وكل محسن منه

محسن في احسانه

حسنة من حسنات قدرته وحسن من فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله واما محبة الغير
للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المجانسة بمعنى ظاهر كالصبي
يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع
في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف وهذا الجنس فرع لمحبة النفس فترجع الى محبة الله لانهم
كما عرفت فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه
واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار
عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجاؤا الى غيرك فسبحان من احتجب
عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه
الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى
يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون والحمد لله رب العالمين بل اكثرهم لا يعلمون
فصل اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه
الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة و
ذلك لان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز
ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فغريزة الغضب
خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة شهوة

التعارف ضد التنافر والتناكر

مسارح المراتع والمنازل والمراتع والمرعى انتم في مراتع المحسوسات

يترددون يترددون في الصحاح رجعت فلانا لا موضع كذا اذا ارسلته (صح)

الغريزة بتقديم الراء المهملة على الزاء المعجمة الطبيعة (صح)

تشفي خشم فرو نشستن از غضب بسبب انتقام از مغضوب کشیدن قانون

الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلاجرم لذتها في نيل الغذاء وهكذا سائر الغرائز
وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقائق
الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص الصفات الربوبية وهو
منتهى الكمال ولذلك ترتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند
سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة
كلذة العلم بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته
وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم
فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ المعلومات لا محالة
واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجمل واعلى واشرف واكمل من خالق
الاشياء كلها ومكملها ومربيها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان
لذة المعرفة بالله اقوى من سائر اللذات لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف ان
اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قيل شعر كانت
لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رآك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت
احسده فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي فصل اعلم انه لا فرق في الرؤية بين الدنيا
والاخرة فكما انه لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لا يجوز رؤيته
في الاخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز رؤيته في الاخرة بالقلب والبصيرة لاهل البصيرة

اعني غاية الانكشاف

اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتأدى الى المشاهدة واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا
بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسم فان اولياء الله
يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومتصرفاتهم وليلهم ونهارهم كما قال الله تعالى والشهداء
عند ربهم قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما وقال الا من شهد بالحق
وهم يعلمون فسماهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله عز وجل وايتما تولوا
فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن فوصفه بالظاهر وقال
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
الا هو معهم فاذا تحقق اولياء الله بمعاني هذه الآيات شاهدوا باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين ع
هل رايت ربك حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته
قال ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن راته القلوب
بحقائق الايمان وقال ابنه الحسين سيد الشهداء ع كيف يستدل عليك بما هو في
وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك
متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل
اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم
تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال تعرفت
الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء الى غير ذلك مما ورد
عنهم عليهم السلام في هذا المعنى نعم يمكن ان يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر
زيادة صفاء القلوب وزكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق

طاب ثراه باسناده عن ابي بصير عن الصادق ع قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون
يوم القيمة قال نعم وقد رأوه قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا
بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه
في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك
اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية
بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون اراد ع بالمشبهين
والملحدين اصحاب التنزيه والعدوت فانهم يزعمون ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه
العين في الاخرة وان لم يجز في الدنيا وان المؤمنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما
يرون القمر ليلة البدر وقد سئل الصادق ع عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء
من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش
جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور
الستر فان كانوا صادقين فليملؤا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب فصل
اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل
المعرفة وتقويتها وذلك بتطهير القلب عن شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل
الى الله تعالى بالذكر والفكر ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء
الذي لا يسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية
من قلبه مشغولة بغيره فينقص منه حب الله الا ان يكون التفاته

وفعل الله

الى الغير من حيث انه صنع الله وفعله ومظهر من مظاهر اسمائه والى هذا التقريب والتحبيب الاشارة
بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وذلك انما يكون بغلبة الشوق وهو يستدعي الوضوح فيما
ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين ولا نهاية له لان
الاتضاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد فيما بقي من جمال الله وجلاله لا ساحل له بل
مع حصول الاصل الوصال يحل ايضا شوق لذيذ لا يظهر فيه الم فالشوق لا يسكن قط
ولا سيما مع من فوقه درجات كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع المشتاق لا يشتهي طعاما
ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا ولا يأنس حميما ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا
ولا يلبس لينا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما يشتاق
اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله تعالى عن موسى بن عمران
في ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي صلعم عن حاله
انه ما اكل وما شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين يوما شوقا
الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا وودع المؤلفات
واحرم من سوى مشوقك ولب بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك واعظم
الله تعالى اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل
[illegible] والاخبار الواردة في شوق لقاء الله اكثر من ان تحصى وقد مرت الاشارة
الى بعضها في ادعية المعصومين عليهم السلام فصل اعلم ان الانسان اذا

غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال
انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا
وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور
بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت
الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى
صفات العز والاستغناء وعدم المبالات وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا
الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد
عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس
بالله لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش
من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عم
لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب
عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلوب عذوبة ما سواه فان خالط الناس
كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في
غيبة وغائب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر
قال امير المؤمنين عم في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه
والدعاة الى دينه فصل اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه
قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط

في الاقوال

في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكرا بحسب الصورة لما فيه من الجرأة
وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل
والكلام هلك و اشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعم كليمه موسى ان يسأله
ان يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين الفا فاوحى
الله عز وجل كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على
غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى
استجيب له فسئل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد
اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه
موسى بنور الله تعم فسلم عليه فقال ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت مذ
طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من
حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك
ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق
الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت
فتعجل بالعقوبة قال الغزالي فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله
عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال
كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله عز وجل
اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم ان الانبساط والادلال يحتمل من
بعض العباد دون البعض فمن الانبساط الانسي قول موسى ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له

اذ بعث فرعون طغى فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله ويضيق صدري وقوله اننا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من موسى من سوء الادب لان الذات اقيم مقام الانس بلاطف
ويحتمل ولم يحتمل ليونس عم ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت
في ظلمات ثلث فنودي عليه السلام يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهى نبينا
صلعم ان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم و
هذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من
التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على نبينا وعليه السلام من المفضلين
ولاد له سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا ما
انبسط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام
الهيبة والحياء فلم ينطق حتى سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال
بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى
رؤس العشرين آية من اخباره تعالى عن زلاتهم فيهم نيفا واربعين خطيئة بعضها
اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفى عنهم
ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل لان عاد لمحي اسمه من
ديوان النبوة وهذا القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده
الذين خلوا من قبل فما في القران شيء الا وهو سبب ونور يتعرف من الله تعالى الى الخلق

فصل

فصل واما محبة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى
تمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير باطنه من حلول الغير
وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين الغير كما محبة عن سليمه الله تعم وبين مولاه حتى لا يحول
يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في الحديث القدسي
ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه واذا احببته كنت سمعه الذي يسمع
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فيكون تقربه بالنوافل سببا
لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل
ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال الله عز وجل ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلعم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن
لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلعم اذا احب الله عبدا ابتلاه
فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا
من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب
الله عز وجل واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره و
باطنه سره وجهره فيكون هو المشير اليه عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل
لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا
في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه
وبين معرفته فصل اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه وذلك

الله نور السموات والارض والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ومبدأ الادراك من
المدركات والمدرك انما هو الوجود فكلما ادركته فانما تدرك اولا وجوده وان
لم تشعر بذلك وانما خفي عليك ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شيء
بسبب ظهوره فان الاشياء انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له
عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت
التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله
نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض
ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها
لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها واما الضوء فلا ندركه وحده
ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا
ان الاجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا وجود
النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا
الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر
المحسوسات اذ به يدرك المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
استبهم امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فاذن الحق سبحانه هو اظهر الاشياء
وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات
والارض وبطل الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين
ولو كان في الدلالة بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت

التفرقة

التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم
في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهو مختف لافراط الظهور
لادراكه ابصار قوم الخفافيش وحظ عيون الزرق من نور وجهه
العيون العواشي قال امير المؤمنين عم لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها
امتنع منها وقال عم ظاهر في غيب وغائب في ظهور وقال لا تجنه البطون عن
الظهور ولا تقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنى وظهر فبطن
وبطن فعلن ودان ولم يدن اذ ظهر وغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه
بين الاضداد

الباب الخامس في اليقين والتوكل

قال الله تعالى وبالآخرة هم
يوقنون وقال النبي صلعم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم
يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل وقال صلعم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب
ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته
العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم
فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية
لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى ينقص يقينه وعن الصادق عم قال ليس شيء الا وله حد قيل فما حد التوكل
قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا وقال عم من صحة يقين
المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فان الرزق

لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت
لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في
اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط اراد عليه السلام بقوله ولا
يلومهم على ما لم يؤتهم الله ان لا يلومهم على ترك صلوتهم اياه بالمال ونحوه فان
ذلك شئ لم يقدر الله له ولم يرزقه اياه ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك
كذلك فلا يلوم احدا بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقهم
وما اوجبته حكمة الله في امره وعنه ع ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل
عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين وعنه ع قال كان امير المؤمنين ع يقول لا يجد
عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه
وان الضار النافع هو الله تعالى وعنه ع ان امير المؤمنين ع جلس الى حائط مائل
يقضي بين الناس فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور فقال
امير المؤمنين ع حرس امرا اجله فلما قام سقط الحائط قال وكان امير المؤمنين ع
يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعنه ع قال كان قنبر غلام علي عليه السلام يحب
عليا حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على اثره بالسيف فرآه
ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين ع قال
ويحك امن اهل السماء تحرسني او من اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال
ان اهل الارض لا يستطيعون شيئا الا باذن الله من السماء فارجع

فرجع

فرجع وقيل للرضا ع انك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان
لله تعالى واديا من ذهب حماه باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه
يعني بالسيف سيف السلطان وعنه ع قال كان في الكنز الذي قال الله تعالى
وكان تحته كنز لهما كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يركن اليها فصل اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب
ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان
الله سبحانه للرزق وان ما قدر له سيساق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان كل
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله تعالى
مطلع عليه في كل حال ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون
متادبا في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته في عمارة باطنه
وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لعيان الناس
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اليقين يوصل العبد الى كل حال سني
ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلعم عن عظم شان اليقين حين
ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهوا
فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة

حقيقة اليقين لا عز والزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون
في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة الا
بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالة العدم
والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها
من عين واحدة ومن ضعف يقينه يتعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك
واتبع العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها
وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب
الا ما رزق وقسم له وان الجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه
قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما لطف
الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم
يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرائضه وسنن قلبهم بنيته في جميع حركاتهم
ولا يعدلون عن حجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص واما اذا ابوا ذلك
وان نبطوا بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل
الا الدعاوى الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا يجلب من كسبه الا نفسه
الا حراما او شبهة وعلامته ان يؤثر ما يحصل من كسبه ويجمع وينفق في سبيل الله
الذي ولا يمسك ولا يبخل والماذون بالكسب من كان بنفسه مكتسبا وبقلبه

متوكلا

متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين عالما بان كون ذلك وفقده سواء وان
امسك امسك لله وان انفق انفق في ذات امر الله عز وجل ويكون منعه وعطاؤه في الله لا

فصل التوكل منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من
معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث
العمل ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها
شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في
الشرع والاعتماد على اسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال جل وعلا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين فاعظم
بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله صلعم لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال من سره ان يكون
اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه مما في يده وعن الصادق مما اوحى الله الى داود
ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم يكيده السموات

والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت
ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال
باي واد هلك وعنه ع ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه ع
انه قرء في بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن
امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه
من وصلي ايؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري
وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه
فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال
عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم
ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من
نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري افراني ابدا بالعطاء قبل المسألة ثم اسئل فلا اجيب
سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي
اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو
ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص
من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا
لمن عصاني ولم يراقبني فصل اعلم ان من اعتقد اعتقادا جازما بانه لا فاعل الا الله

والحول

ولا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية
والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى
علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبه على الله ولو لم يلتفت الى غيره
بوجه ولا الى نفسه فسببه احد امرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء
الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم
وطاعة له من غير نقصان في اليقين كالمنزعج ان يبيت مع ميت في قبر او فراش
مع عدم نفرته من ساير الجمادات فتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا
اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء
آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له كساير ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي
مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني لا يقين لهما اصلا وانما يتبعون
الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم
معرضون عنه وعن الكاظم ع في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه
قال التوكل على الله درجات منها ان يتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت
عنه راضيا تعلم انه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله
بتفويض ذلك اليه وثق به فيها وفي غيرها ولعل ساير درجات التوكل
ان يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعدد بحسب كثرة الامور المتوكل
فيها وقلتها فصل اعلم ان من الناس من يظن ان معنى التوكل ترك

الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم
ويغلق ابواب الجهات فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان مكلف بطلب الرزق
بالاسباب التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك كما ان الله
وكما ان الصلوة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك
طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله بها ليتقربوا به اليه بل هو افضل العبادات
كما مر بيانه في باب الاول من مقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم بان لا يتوكلوا
على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل المامور به في الشرع الاقدس
هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه
تحصيل الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان سكونه الى الله تعالى دونها مجوزا
ان يؤتيه تعالى مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها
وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها سواء كانت لجلب نفع متوقع
او لدفع ضرر منتظر او لازالة آفة واقعة وسواء كانت مقطوعا بها كمد اليد
الى الطعام ليصل الى الفم او مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح للعدو
واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة
المرض والتحرز عن النوم في مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط
المائل وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك واما الموهومة كالرقية
والطيرة والاستقصاء وترك الاستبراء قال النبي صلعم الا ان روح
الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله

عز وجل واجملوا في الطلب وقال صلعم ما اجمل في الطلب من ركب البحر وقال
الصادق عم ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي
بدنياه المطمئن اليها ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف
ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين اعطوا
المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت
ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة والمظنونة مع ان الله تعالى
قادر على اعطاء المطلوب ذلك لان الله سبحانه ابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب
كما قاله الصادق عم واحب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها
لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم وقال عز وجل في كيفية صلوة
الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عم واسر بعبادي ليلا والتحقق بالليل
اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر وقال النبي صلعم للاعرابي لما اهمل
البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك وروي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار وتقعد بين الناس اقام في سفح الجبل وقال لا اسئل احدا
شيئا حتى يأتيني ربي برزق فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأت رزقه فقال
يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك
فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد
بين الناس فدخل المصر واقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب
واوجس في نفسه ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك

فى الدنيا اما علمت ان ارزق عبدى بايدى عبادى احبّ الىّ من ان ارزقه بيد قدرتى
وفى الاسرائيليات انّ موسى عم اعتلّ بعلّة فدخل عليه بنوا اسرائيل فعرفوا علّته فقالوا لو
لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتّى يعافينى الله بغير دواء فطالت علّته فاوحى
الله اليه وعزّتى وجلالى لا ابرئنك حتّى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داوونى بما
ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتى
بتوكّلك علىّ فمن اودع العقاقير منافع الاشياء فصل ومن الناس من يزعم انّ حقّ
التوكّل ان يكتفى بالاسباب الخفيّة عن الاسباب الجليّة كان يسافر بالبوادى التى
لا يطرقها الناس بغير زاد بان يعتاد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع وما يقاربه بحيث
يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوّش خاطر وتعذّر فى ذكر الله وان يكون بحيث
يقوى على التقوّت بالحشيش وما يتّفق له وان يوطّن نفسه على انّه ان مات جوعا
كان خيرا له فى الآخرة ويقعد فى بيته او فى مسجد ويتفرّغ بترك الكسب للفكر او
ذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه الى
الناس فى انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوىّ القلب فى الصبر والاتّكال
على الله وهذا خطأ لانّ من جاهد نفسه وسوّاها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع
ويمكنه التقوّت بالحشيش صارت الاسباب له جليّة فانّ علاج الحاجة احد
العلاجين ثمّ ان كان اعتماده حينئذ على صبره وتمكّنه من التقوّت بالحشيش فليس
فى التوكّل وان كان انّما يثق بالله وحده فليقم فى بلده مع الاسباب الجليّة
وليثق بالله دون الاسباب كما امر الله به الزاهد الذى مرّت قصّته واما توطين

التقوّت

نفسه باختيار

نفسه باختيار على الموت جوعا فممنوع شرعا قال الله عزّ وجلّ ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما القاعد
فى بلده يعبد ربّه من غير كسب فهو ايضا قد ترك اتّباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق عم
انّ من يقوّته اشدّ عبادة منه وربّما يكون مثله كلّا على الناس فانّ حاله ينادى بالبؤس و
الباس بل هو ضرب على بواطن وتعرّض للذلّ الّا اذا خرج من بين الناس فيرجع الى الاوّل
من تعزير بالنفس وتعرّضه للهلاك وليت شعرى اىّ مدخل فى خفاء الاسباب وجلائها
فى التوكّل بعد ما تقرّر انّ معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب فسواء وجود الاسباب
وفقدها جلائها وخفائها نعم يتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم فى
قوّة اليقين وضعفه وفى قصر الامل وطوله وفى ادّخار الادّخار بحسب الامل والمنفرد
والمعيل فمنهم من هو من المقرّبين ومنهم من هو من اصحاب اليمين ومنهم من لا توكّل
له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا وقلّته وكثرته ومن كمل ايمانه
سقط وثوقه بالاسباب بالكليّة فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب ام لم يكسب الّا
انّه لا يترك الكسب بل يتّبع امر الله فيه وليس وثوقه الّا بالله وحده دون كسبه قال
الصادق عم ابى الله عزّ وجلّ ان يجعل ارزاق المؤمنين الّا من حيث لا يحتسبون
وانّما خصّه بالمؤمنين لانّ كمال الايمان يقتضى ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكّل
على الله عزّ وجلّ وحده وكمال الايمان انّما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء و
الاولياء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال السجّاد عم رايت الخير كلّه فى قطع الطمع
عمّا فى ايدى الناس ومن لم يرج الناس فى شئ وردّ امره الى الله تعالى فى جميع اموره
استجاب الله تعالى له فى كلّ وقال الباقر عم بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد

عبد له رغبة تذله قال الصادق ع شرف المؤمن قيام الليل وعزه الاستغناء عن الناس باب
السادس في الصدق وأداء الأمانة وأدنى الصدق الصدق في القول في كل حالاته
كماله بترك المعاريض من غير ضرورة حذراً من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة
كاذبة ورعايته مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه وإياك نعبد
وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشوب يفوته
صادق الحلاوة أن يمحضها فالصادق في النية لابد أن يكون مخلصاً ثم في العزم
وهو العزم الذي على الخير فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه
إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو بشطره وإذا لقيت عدواً في سبيل الله قاتلته
ولم أبال وإن قتلت وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق
في العزيمة ثم بالوفاء بالعزم فالنفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في
الوعد فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة
وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ثم في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف
هو به لا بأن يترك العمل ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء
لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك لأجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع
في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن نظر إليه رآه
قائماً بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم بالسوق بين يدي شهوة من
شهواته وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً

بذلك

بذلك فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق ولا مرائياً لهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة
والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره وبهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام إني
والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها ثم في مقامات
الدين وهو أعلى الدرجات وأعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب
والتوكل وسائر المكارم فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق و
الصادق المحقق من نال حقيقتها قال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
إلى قوله أولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ثم قال والصابرين
في البأساء والضراء إلى قوله أولئك الذين صدقوا وسئل أبو ذر رضي الله عنه عن الإيمان
فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلعم عن الإيمان فقرأ
هذه الآية ولنضرب للخوف مثلاً فما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق
عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطاناً
أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه وينغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله
ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس
الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفاً من درك
المحذور ثم إنه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك
قال النبي صلعم لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه
الأمور عزيز جداً ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله إما ضعيف أو قوي وأما
ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض
فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً فصل في مصباح الشريعة قال الصادق

اذا اردت ان تعلم أصادقٌ انت ام كاذبٌ فانظر في قصد معناك وغور دعواك وعيّرها بقسطاس من الله عزّ وجلّ وكان كانّك في القيمة قال الله عزّ وجلّ والوزن يومئذ الحقّ فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حدّ الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرناه كمثل النازع روحه ان لم ينزع فماذا يصنع وعنه عم انّ الصادق اوّل ما يصدقه الله تعم يعلم انّه صادق فتصدقه نفسه تعلم انّه وعنهم قال انّ العبد ليصدق حتى يكتب الله صديقا وعنه عم قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض اصحابه انظر ما بلغ عليّ عم عند رسول الله صلعم فالزمه فانّ عليّا انّما بلغ عند رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة وقال عم لا تنظر الى طول الركوع الرجل وسجوده لذلك لكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته وقال عم انّ الله تعم لم يبعث نبيّا الّا بصدق الحديث واداء الامانة الى البرّ والفاجر وعن النبيّ صلعم اداء الامانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر وعن امير المؤمنين عم ادّوا الامانات ولو الى قاتل ولد الانبياء وعن الصادق من ائتمنك بامانة فادّها اليه ومن خانك فلا تخنه

المقالة الخامسة في العبادات واسرارها وفيها سبعة ابواب

الباب الاوّل في النيّة والاخلاص قال النبيّ صلعم انّما الاعمال بالنيّات وانّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها او امرأة يتزوّجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانّما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة انّ بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيّته من تلك الهجرة الّا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء

فبيّن صلعم ان لكلّ احد بالنسبة الى عمله ما ينويه ويصل الى ما ينويه كائنا ما كان دنيويّا او اخرويّا وهذا الخبر ممّا يعدّ اصحاب الحديث من المتواترات وهو اوّل ما يعلّمونه اولادهم ويقولون انّه نصف العلم واعلم انّه لا عيب في عبادة الله ولا يغني في طاعته بحيث يترتّب عليه الاجر في الاخرة الّا ما يراد به التقرّب الى الله تعم والدار الاخرة اعني به وجه الله او التوصّل الى ثوابه او الاخلاص من عقابه وبالجملة امتثال امر الله تعم فيما ندب اليه بقوله عزّ وجلّ ادعوه خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا وكلّ وعد به الجنّة واوعد عليه النار في الايات التي لا تحصى رغبة ورهبة ووعدا ووعيدا وانّما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم ونيّاتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله واحبّه واشتاق اليه واخلص عبادته لله لكونه اهلا للعبادة ولمحبّته له احبّه الله واخلصه واجتباه وقرّبه الى نفسه وادناه قربا معنويّا ودنوّا روحانيّا كما قال في حقّ بعض من هذه صفته وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب قال امير المؤمنين وسيّد الموحّدين صلوات الله عليه الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنّتك لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف من الله سوى كونه الها صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما وانّ له جنّة ينعم بها المطيعين ونارا يعذّب بها العاصين فيعبده ليفوز بجنّته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته وطاعته الجنّة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع من كتابه فانّما لكلّ امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص من عقابه زعما منه انّ هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وانّ من قصد ذلك فانّما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فانّ هذا قول من لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها بل ولا

معرفته لمعنى النية وحقيقتها وعلم انها عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها
الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلاً واما اجلاً لا مجرد قول الناوي عند ارادته افعل
كذا قربة الى الله وتصور هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن ما
لنفسه وانبعاث الى التقرب هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس
وما ذلك الا كقول الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء
وهذا الانبعاث اذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول
والتصور واكثر الناس متعذر منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب
لانهم لا يعرفون من الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا
النار ويحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها
وخصوصاً من كان الغالب على قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث
له داعية الى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخرة فضلاً عن ايقاع
عبادته على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه
قل من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها فلو كلف بها لكان تكليفاً بما لا يطاق
وليس معنى الاخلاص في العبادة الا ان لا يكون مشوبة بشوائب الدنيا
والحظوظ العاجلة للنفس كمدح الناس والخلاص من النفقة بعتق
العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه وظاهر انه لا ينافيه ارادة الجنة والخلاص
من النار مما وعد في الآخرة وان كان من جنس المألوف في الدنيا ولو كان
مثل هذه النيات مفسداً للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد
والوعيد عبثاً بل مخلاً بالمقصود ثم ليت شعري كيف يمكن للعبد الضعيف

احدهما نية الفوز بالجنة وثانيهما النجاة من النار فافهم

اسمعان نيك و در رفتن [illegible] و در حين

المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ان يستغني عن جلب
النفع من مولاه لنفسه او دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا يجد اكثر القائلين ببطلان
العبادة باحدى النيتين اي الاولين بنياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع الى احديهما وهم لا يشعرون و
عن الصادق ع العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله
عز وجل طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله تعالى حباً له فتلك عبادة الاحرار وهي
افضل العبادة قوله ع وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا تخلو من
فضل ايضاً فضلاً عن ان تكون صحيحة فصل قد ورد في الحديث المشهور عن النبي صلعم
انه قال نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف
الفقهاء في معنى الحديث على اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المؤمن ينوي خيرات
كثيرة لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على اعماله وايضاً ان المؤمن ينوي
ان يقع عباداته على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها لا يتيسر
له ذلك ولا يتأتى كما يريد فلا يأتي بها كما ينبغي فالذي ينوي دائماً خير من الذي يعمل به في
كل عبادة والى هذا اشار الباقر ع حيث كان يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه
ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر
ما لا يدركه وعن الصادق ع انه قيل له سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله فكيف تكون
النية خيراً من العمل قال لان العمل انما كان رياءً للمخلوقين والنية خالصة لرب
العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره
ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه
صدقة وعنه ع ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا

فلا يأتي

احدهما نية الفوز بالجنة وثانيهما النجاة من النار فافهم

من البر ووجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق ونية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب
له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عم انه سئل عن احق العبادة التي فعلها فاعلها كان
مؤديا فقال حسن النية بالطاعة يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة فان يتيسر له الاتيان
بما وافق النية والا فقد ادى ما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عم انما خلد اهل النار
في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد
اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا
فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعم قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته وعنه عم
من سمع شيئا من الثواب على شيء فكان فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه ومما قيل في
معنى الحديث المشهور ان النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف نفع العمل عليها
دون العكس ولكون الغرض الاصلي من العمل تاثر القلب بالميل الى الله تعم عن الغير
كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الاثر الحاصل
الجامع امرته على قصد انها غيرها بخلاف المجامع غيرها على انها امرته والتاثر صفة
القلب وبهذا يعرف معنى قوله عم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم
القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما
الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل
القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند
جزم النية والهم وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم والتقوى في القلب ولذلك قال النبي صلعم لما خرج في غزوة
تبوك ان بالمدينة قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا

انفقنا نفقة

انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله وليسوا معنا فقال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية فصل النية
اما واحدة كالقيام للاكرام واما متعددة كالتصدق للفقر والقرابة فاما لا يستقل
شيء ويعرف بالامتناع عند الانفراد او يستقل متساويا او متفاوتا ويتعدد
اجزاء يتعدد اجرا كان كالدخول في المسجد لزيارة الله عز وجل فان المسجد
بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل المسجد فقد زار الله تعم وحق على
المزور اكرام زائره ولانتظار الصلوة والاعتكاف والانزواء والتجرد
للذكر وترك الذنوب او ترك العقود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة النسا
والمناظرة للمباهات والمرايات وحسن النية المباح عبادة كالتطيب يوم
الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وادخال
السرور بالعرف وسد باب الغيبة وربما يفضل على محضها فالنومة او دعابة
مباحة لورث الى الصلوة افضل من صلاة الملال وشرها يجعله معصية كالتطيب
للتفاخر باظهار الثروة للزنا المؤثر للزنا ولا يؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة
الاخوان فصل النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث
النفس وتوجهها الى ملائم ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا وما لم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر
على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا

قوله ولانتظار الصلوة عطف على قوله لزيارة [illegible] كالدخول في المسجد لانتظار الصلوة وكذا قوله والاعتكاف وقوله وترك الذنوب ه

المباهات المفاخرة ١٢

دعابة بضم الدال المهملة المزاح [illegible]

غیر مصروف عنه بغرض شاغل اقوی منه وذلک لایمکن فی کل وقت والدواعی والصوارف
لها اسباب کثیرة بها تجتمع ویختلف ذلک بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلب
شهوة النکاح ولم یعتقد غرضا صحیحا فی الولد لایمکنه ان یتزوج علی نیة الولد بل لا
یمکن الا علی نیة قضاء الشهوة اذ النیة هی اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة
فکیف ینوی الولد نعم طریق اکتساب هذه النیة مثلا ان یقوی اولا ایمانه بالشرع ویقوی
ایمانه بعظم ثواب من سعی فی تکثیر امة محمد صلعم ویدفع عن نفسه جمیع المنفرات
عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغیره فاذا فعل ذلک فربما انبعثت من
قلبه رغبة الی تحصیل الولد للثواب فتحرکه تلک الرغبة وتحرک اعضاءه لمباشرة
العقد واذا انتهضت القدرة المحرکة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث
الغالب علی القلب کان ناویا واذا لم یکن کذلک فما یقدره فی نفسه ویردده فی
قلبه من قصد الولد وسواس وهذیان ولهذا امتنعت من الطاعات اذ لم تحضرهم
النیة وکانوا یقولون لیس تحضرنی نیة وذلک لعلمهم بان النیة روح الاعمال وان
العمل بغیر نیة صادقة ریاء وتکلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعن الصادق ع
انه اتاه مولی له فسلم علیه فجلس فلما انصرف علیه السلام انصرف معه الرجل فلما
انتهی الی باب داره دخل وترک الرجل فقال له ابنه اسمعیل یا ابه الا کنت عرضت
علیه الدخول فقال لم یکن من شانی ادخاله قال فهو لم یکن یدخل قال یا بنی انی اکره
ان یکتبنی الله عراضا وفی مصباح الشریعة قال الصادق ع صاحب النیة الصادقة
صاحب القلب السلیم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النیة

لله فی الامور

لله فی الامور کلها فان الله تع یقول یوم لا ینفع مال ولا بنون الا من اتی الله بقلب سلیم وقال
النبی صلعم نیة المؤمن خیر من عمله وقال انما الاعمال بالنیات وانما لکل امرء ما نوی ولا بد
للعبد من خالص النیة فی کل حرکة وسکون لانه اذا لم یکن بهذا المعنی یکون غافلا
والغافلون قد وصفهم الله تع فقال ان هم الا کالانعام بل هم اضل سبیلا وقال اولئک
هم الغافلون ثم النیة تبدو من القلب علی قدر صفاء المعرفة وتختلف علی حسب اختلاف
الاوقات فی معنی قوته وضعفه وصاحب النیة الخالصة نفسه وهواه معه مقهوران
تحت سلطان تعظیم الله والحیاء منه وهو من طبعه وشهوته ومنیته نفسه منه فی تعب
والناس منه فی راحة

فصل واما الاخلاص فهو تجرید النیة عن الشوب فالاعلی
ارادة وجهه تع ویعرف بالتفکر فی صفاته وافعاله والمناجاة ثم ارادة نفع الاخرة
فهو حفظ النفس وورد فی حقیقته ان تقول ربی الله ثم تستقیم کما امرت تعمل لله
لا تحب ان تحمد علیه قال الله تع وما امروا الا لیعبدوا الله مخلصین له الدین الا لله
الدین الخالص وقال الا الذین تابوا واصلحوا واعتصموا واخلصوا دینهم لله
وعن امیر المؤمنین ع قال طوبی لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم یشغل قلبه بما تری
عیناه ولم ینس ذکر الله بما تسمع اذناه ولم یحزن صدره بما اعطی غیره وعن الباقر ع
قال ما اخلص عبد الایمان بالله اربعین یوما او قال ما اجمل عبد ذکر الله اربعین
یوما الا زهده الله فی الدنیا وبصره داءها ودواءها واثبت الحکمة فی قلبه وانطق
بها لسانه وعن الصادق ع فی قول الله عز وجل لیبلوکم ایکم احسن عملا قال لیس
یعنی اکثرکم عملا ولکن اصوبکم عملا وانما الاصابة خشیة الله والنیة الصادقة.

ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك
عليه احد الا الله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص
كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا وتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب
وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا
لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلاثين سنة كنت
صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر وصليت في الصف
الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر
الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من
حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقل ما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون
عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا
لهم سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد مضت الاشارة الى
امثال ذلك في باب الغرور فصل اعلم انه قد ثبت اجماع الامة على ان من خرج
حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا للحج والوجه فيه
ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا عبادة كما مضى بيانه وقد عرفت ان
نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها وليس الامر كما ظن ان
التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه
فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه ومهما قصد تجارة و
لا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين

والتابع

والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد
عدم بقاء ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج التفرج والتوحش عن الاهل انضماما غير
مستقل ونحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء
قصد التبرد والى نية العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة الى غير ذلك
اذا لم تكن المنضمات مستقلة واما ما لا يضر بالاخلاص من انواع الرياء وغيره
فقد مر الكلام فيه في باب الرياء والكبر فلا حاجة الى الاعادة فصل في مصباح الشريعة
قال الصادق عم الاخلاص يجمع حواصل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول
وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل عمله
ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بادم عم وابليس
وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة كل حركة
وسكون والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال
والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل
واذا فاته ذلك فقد فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه
في التوحيد كما قال الاول هلك العاملون الا العابدون وهلك
العابدون الا العالمون وهلك العالمون الا العاملون وهلك العاملون الا الصادقون
وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون وهلك
المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى لنبيه واعبد

توقيع نامه دوانی کردن و بپایان رسانیدن و ...

ويحتمل ان يكون المراد به امير المؤمنين عم او ابو الحسن الاول عم موسى الكاظم عم

ربك حتى ياتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله
قدرا فيوجب به على ربه مكافاتا بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز و
ادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الاثام وفي الاخرة النجاة من النار و
الفوز بالجنة

الباب الثاني

في الطهارة والنظافة قال الله سبحانه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج و
لكن يريد ليطهركم وقال النبي صلعم الطهور نصف الايمان وقال مفتاح الصلوة
الطهور وقال بنى الدين على النظافة وقال صلعم بئس العبد القاذورة وقال من اتخذ
ثوبا فلينظفه وقال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه النظيف من الثياب يذهب الهم
والحزن وهو طهور للصلوة فتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان الايمان انما يتم
بعمارة القلوب والسرائر وان المراد بقوله صلعم الطهور نصف الايمان ان عمارة
الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء نصف الايمان والنصف الاخر عمارة
الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى
تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من
الجرائم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها
والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل وعلا وهي طهارة الانبياء والصديقين
والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها وهذه مقامات الايمان ولكل
مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة
السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله وعمارته بمعرفة الله و

انكشاف

وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته
بالمحمود ولن يصل ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظن ان هذا الامر
يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات ولم يفهم
من مراتب الطهارة الا الدرجة الاولى التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب
المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث
الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق **فصل** ينبغي للعاقل ان يتذكر
بتخليه لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار وباستراحة
نفسه عند اخراجها وسكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على بساط الخدمة
والقابل للمناجاة هوان الدنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم سمي المستراح مستراحا لاستراحة
النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن
يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك عاقبتها فيستريح بالعدول
عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه من شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها
استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في
حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى
يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع

بباطنها الصم وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفة اياها
ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب
نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلفى ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات
الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء

فصل عن النبي صلعم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال صلعم صلوة
على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
قال النبي السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجعلها من السنة المؤكدة وفيها منافع للظاهر
والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما تزيل ما تلوث من اسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك
كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالاسحار
وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصا لله فان
النبي صلعم اراد باستعماله مثلا لاهل اليقظة وهو ان المسواك نبات لطيف نظيف
وغصن شجر عذب مبارك والاسنان خلق خلقه الله تعالى في الفم آلة واداة للمضغ
وسببا لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام
وتتغير بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات
اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية ازال عنها الفساد والتغير وعادت الى
اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة
والتعظيم واذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة التوبة

ونظف بماء الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهرته الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وان النبي صلعم امرنا بالسواك ظاهر الاسنان واراد به هذا
المعنى المثل ومن اناخ تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع فتح
الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين

فصل قال النبي صلعم
من توضأ وذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء الى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب
ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق ع من ذكر اسم الله على وضوئه فكانما
اغتسل وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء
تقدمك الى رحمة الله فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلا
الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهر يطهرها الماء
لا غيره وقال الله تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء
طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك
بفضله ورحمته حيوة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطف امتزاجه
بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وائت بآدابها وفرائضه
وسننه فان تحت كل واحد منها فوائد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين
فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالاشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير
عن معناه معتبرا لقول رسول الله صلعم مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك
مع الله في جميع طاعتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وطهر قلبك بالتقوى
واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقال الرضا ع انما امر بالوضوء ليكون
العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته ... على الوجه مناجاته اياه مطيعا

له قبل امر بنقيته من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفواد
للقيام بين يدي الجبار وانما وجب على الوجه واليدين والراس والرجلين لان
العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء
وذلك بانه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسال ويرغب ويرهب ويتبتل وبراسه
يستقبل في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون
الخلاء لان الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء
ليس هو من نفس الانسان انما غذاء يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية
اخرى عنه عليه السلام قال وعلة التخفيف في البول والغائط انه اكثر وادوم من
الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة والجنابة
لا تكون الا بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم فصل قال بعض اصحابنا ما ملخصه
ان الدنيا والاخرة ضرتان كلما قربت من احديهما بعدت عن الاخرى فلذلك امر
العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه
فامر فالوضوء بغسل الوجه الذي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب
الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك
الادناس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر امور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية
المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لانه بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل
الى تحصيل ما دبره فيطهرهما جميعا ليسوغ له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها
وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان حالات الانسان واشدها تعلقا
بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات الغسل وجميع بدنه مدخل في

تلك الحالة ولهذا قال رسول الله صلعم تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة
العلية منغمسا في اللذات الدنيوية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية
ليتاهل للمقابلة الجهة الشرعية الشريفة والدخول في العبادة المنيفة وامرنا في التيمم
بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء الرئيسة و
هضما لها بتلقيها بآثار التربة الخسيسة قال ولما كان للقلب من ذلك الحظ الاوفر
والنصيب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك
الفضائل اولى من تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يكن تطهيره
من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقمه مقام الهضم و
الازراء ويسمه بسمات الذل والاغضاء وعسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم ويلقه
الكريم وهو منكسر متواضع فيصيبه نفحة من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة
قلوبهم كما ورد في الاثر فتدبر من هذه الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال وتلاف
سالف الاهمال فصل قال امير المؤمنين عم نعم البيت الحمام يذكر فيه النار
ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الآخرة
في الحالة فانها مصيرة ومستقرة فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما
عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة اللحد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم و
ان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة
وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد

والقبول الى غير ذلك واشبه شئ بجهنم النار من تحت والظلام من فوق فينبغي ان يتذكر حر
النار بحرارته ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيس له جهنم ويستعيذ
بالله منها قال الصادق ع فاذا دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار و
نسأله الجنة ترددها الى وقت خروجك من البيت الحار

الباب الثالث

في الصلوة والذكر قال الله عز وجل الذين هم في صلوتهم خاشعون وقال الله تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين
لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه اقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين و
قال ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فيه تنبيه على سكر الدنيا
اذ بيّن فيه العلة وقال النبي صلعم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم
من ذنبه وقال انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتبأس وتنادم وتقنع يديك
وتقول اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت صلوة فريضة فصل لوقتها صلوة
مودع يخاف ان لا يعود فيها وقال صلعم لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها
قلبه مع بدنه وعن الصادق ع من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه
حسنة لم يعذبه وروي ان ابرهيم الخليل كان يسمع تاوهه على حد ميل وكان
في صلوته يسمع له ازيز كازيز المرجل وكان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلعم
مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي صلعم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة
فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المؤمنين عم اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه

الازيز صوت غلي كازيز المرجل

من خيفة الله وكان عم اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فيقيل له ما لك يا امير المؤمنين
فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلوة من خيفة الله وكان الحسن
اذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على ذي
العرش ان يتغير لونه وروي مثل هذا عن السجاد ع وعنه عم انه اذا توضأ اصفر
لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد
ان اقوم قيل ورؤيته ع يصلي فسقط رداؤه عن منكبيه ولم يسوه حتى فرغ من صلوته
فسألته عن ذلك فقال ويحك اتدري بين يدي من كنت ان العبد لا تقبل منه صلوة
الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا ان الله تعالى يتم ذلك بالنوافل و
عن الصادق ع قال كان علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة يتغير لونه و
اذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه ع قال كان ابي يقول كان علي بن الحسين
اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه وعنه ع انه
سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال
ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته
قيل وكان لسان الامام ع في تلك الحال كشجرة طور حين قالت اني انا الله وعنه ع
قال لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك
على الله عز وجل فانه ليس من عبد يقبل بقلبه على الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله

عليه بقلوب المؤمنين وابلائهم مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر عليه السلام ان العبد ليرفع له من صلوته
نصفها وثلثها ومن الفريضة فصل قيل المستفاد من هذه الآيات والاخبار ان صلوة من يغفل
عما يقول فيها ويفعل ليست بمقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم يشترطوا الا حضور
القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا ان المصلي في صلوته ودعائه مناج ربه
كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة ليس بمناجات
والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي
سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود
من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى و
قلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه
يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل وتجلية
ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا او الذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم
بهما قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا
مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين
والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على ساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه
على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء فرقا فان المقبول من العبادة ما يترتب
عليه الثواب في الآخرة ويقرب الى الله زلفى والاجزاء ما يسقط التكليف عن
العبد وان لم يثبت عليه والناس مختلفون في تحمل التكليف فالتكليف انما
هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم

جميعا

جميعا احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن
اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في
اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك
ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه
على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا
صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا
في باب العقايد في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور القلب احد الاسباب
المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه
هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك
به قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

فصل

واعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة يجمعها ست جمل وهي حضور
القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فالاول حضور القلب ونعني
به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا
بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه
ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب ثم التفهم لمعنى
الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ
ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ

هو الذى اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى
للقران والتسبيحات وكم من معانى لطيفة يفهمها المصلى فى اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر
بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر لانها تفهم امورا
تلك تمنع عن الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب و
التفهم اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه
ولا يكون معظما له ثم الهيبة وهى زايدة على التعظيم اذ هى عبارة عن خوف
منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة الهيبة
خوف مصدره الاجلال ثم الرجا فالعبد ينبغى ان يكون راجيا بصلوته
ثواب الله كما انه خايف بتقصيره عقاب الله ثم الحيا ومستنده استشعار
بتقصير وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه المعانى الستة فاعلم ان حضور القلب
سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر
حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر فى
الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا
ولا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة
لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو
الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه
فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهاتها حصل من
مجموعها حضور القلب فى الصلوة واما التفهم فسببه بعد حضور القلب

ادمان الفكر

ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال
مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع خواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع
موادها اعنى النزوع عن تلك الاسباب التى تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك
المواد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب
بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا تصفو له صلوة من الخواطر واما
التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من بين معرفتين احديهما معرفة جلال الله
وعظمته وهى من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه
الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى تتولد
من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم و
ما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم و
الخشوع فان المستغنى عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره
صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى
وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف
فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع
قلة المبالات به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا
مع مطالعة ما يجرى على الانبيا والاوليا من المصايب وانواع البلاء مع القدرة

على الدفع وبالجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم جميع ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السريرة والخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء

فصل اعلم ان المؤمن لابد وان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا مستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا تلهي عن الصلوة الا الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لابد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب

بان يغض

بان يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد يغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا على من يمينهم وشمالهم واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت الهموم به في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصادقة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه ولا يغر غير ذلك فان ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب واما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع

صلوتك في شغل الجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت
اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود
العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا اسير السواني ولا ينقطع فان
اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت
اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب
الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب
ولاجله سمي ذبابا وكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها
ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل
نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء
منها لا ليتزود منها ويستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة
في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة
عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا
فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب
الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة
وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون
انفسهم فيهما بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم
لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء
يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محالة ولا

لا يجتمعان

فصل اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول نداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك
للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف
يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا
بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي صلعم
ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول الاذان
وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو الاول
والآخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واحتقر الدنيا
وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل
واحضر النبي صلعم وتأدب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وآله
وحرك نفسك بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو
خير الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختم بذكره كما افتتحت
به واجعل مبدأك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فانه
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصل اذا اتيت بالطهارة في مكانك و
هو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة
والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع
نظر معبودك قال الصادق عم وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند تطهير
جوارحك بالماء وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ثم اذا سترت مقابح بدنك

عن ابصار الخلق باللباس فاخطر ببالك فضايح سترك التي لا يطلع عليها الا ربك وطالب نفسك بسترها
وتحقق انه لا يستر شيء عن الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فيستفيقن باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك وتستكين تحت الخجلة
وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه
من الحياء والخوف وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس للمؤمنين لباس التقوى
وانعمه الايمان وقال الله عز وجل ولباس التقوى ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله
يستر بها عورات بني آدم وهي كرامة اكرم الله بها عباده ذرية بني آدم ما لم يكرم بها غيرهم و
هي للمؤمنين آلة لاداء ما فرض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقربك
من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك على العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها
من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب واذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك
ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر
الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق اسباب اللباس
لتستر عورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطنة من الذنوب
واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك
فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل واوفر اسباب العقوبة
في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك
ما يشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات خائض في بحر رحمة الله يفوز بجواهر
الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا الى حوله وقوته

لا يفلح اذا ابدا

لا يفلح اذا ابدا فصل وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك
قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصديقون
وهب القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم واعلم انه قادر على ما تشاء
من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير
الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص
عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك و
تقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض
اسرارك عليه ولتعلم انه لا تخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر
عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر و
الاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته
وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته وقد صلحت لخدمته
فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه
الامل وقضي الاجل واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة
والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين
اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه فصل واما
الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افتراق
صرف القلب من سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا فثمة هيهات فلا مطلوب سواه
وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات
في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها

الوطاء كام نهادن وپا گذاشتن

استقبلت القلب انقلب عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه
الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله
تعالى وقد قال النبي صلعم اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته
امه وقال صلعم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا نهى
لا التفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت
عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان ذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة
فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها
والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة
الله تعالى واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وقف على قدم الخوف والرجاء فصل واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب
بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطأطئا متنكسا ولكن
وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس
والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض
للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله تع وهو مطلع عليك فقم بين يديه
قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في
دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من اهلك
او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه يهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك

ويسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من
نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه
افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشاه وهو احق
ان تخشى فلذلك سئل النبي صلعم كيف الحياء من الله تع فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل
الصالح من اهلك فصل واذا توجهت بالتكبيرات فاعظم الله سبحانه وصغر نفسك وحقر
عباداتك في جنب عظمته واحتط ابعدك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقايق
عبادته وتفكر عند قولك اللهم انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه
على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار
عند قولك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر دعوته
لك بالقيام بهذه الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداع
اذا دعاه ويسمع نداه وان بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قولك لبيك وسعديك
والخير في يديك ونزهه عن الظلم والشر وابد له بمحض الهداية والارشاد عند قولك و
الشر ليس اليك والمهدي من هديت واعترف له بالعبودية وان قوام وجودك وبدؤه و
معاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك ان منه وجوده وبك
قوامه ولك ملكه واليك معاده وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه الحقايق
وترق منها الى ما يفتح عليك من الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الاعلى فصل
واما النية على اجابة الله تع في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا

للقربة منه متقلدا بالمنة باذنه اياك فى المناجات مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم فى نفسك
قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى وعند هذا ينبغى ان تعرق جبينك
من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان
الله سبحانه اكبر من كل شئ او اكبر من ان يوصف او ان يدرك بالحواس او يقاس بالناس
فاذا نطق به لسانك فينبغى ان لا يكذبه قلبك وان كان فى قلبك شئ هو اكبر من الله تعالى
فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم ان
النبى صلعم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك
لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف
القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله وعفوه وفى مصابيح الشريعة قال الصادق عم اذا كبرت فاستصغر ما بين
العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفى قلبه عارض
عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعنى وعزتى وجلالى لاحرمنك حلاوة ذكرى و
لاحجبنك عن قربى والمسارة بمناجاتى فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد
حلاوتها وفى نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته متلذذا بمخاطباته
فاعلم انه قد صدقك فى تكبيرك والا فقد عرفت من سلب لذة المناجات وحرمان حلاوة العبادة
انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه فصل واما دعاء الاستفتاح
فاول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلما
وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه

مقدس عن

مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذى يتوجه
به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه هو الى امانيه وهممه فى البيت
والسوق ويتبع الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض واياك ان يكون
اول مفاتحتك للمناجات بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا
بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام
ليكون قولك فى الحال صدقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى ان تخطر ببالك
ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا
فاجتهد ان تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت
وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه
الله وحمد الناس وكن منقيا من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل
والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
لسيده وانه ان صدر من رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحيوة
ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال فصل اذا قلت اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك
على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق

لها وان استعاذتك بالله بترك ما تحبه وتبدله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده
سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو
ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان وكذلك من
يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول
فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل من شر الشيطان
وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا
معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في
حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل
الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرؤ فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني القران فهو
وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس
فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع
اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين و
رجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين
ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون السنتهم
ترجمان يتبع القلب فصل واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به
التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان

المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه
ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر
لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى
غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك
رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك
مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء
والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز
والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه
ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك
لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ بقولك بسم الله والتحميد ومن اظهار الحاجة الى
الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا
الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين انعم عليهم
نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار
والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين واذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن
قال الله تعالى فيهم بما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها
لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله

لمن جملا الحديث الآخر فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته
فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرؤه
من السورة كما يأتي في باب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق
فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وتكون هذه المعاني بحسب
درجات الفهم ويكون الفهم بحسب نور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر
والصلوة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار
والتسبيحات ايضا ثم تراعي الهيئة في القراءة فترتل ولا تسرد ولا تعجل فان ذلك ايسر
للتأمل وتفرق بين نغماتك في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم
كان بعضهم اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته
كالمستحيي ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرأ وارق فكلما قرأ آية
صعد درجة فصل واما القيام ودوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله
على نعت واحد من الحضور قال النبي صلعم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت
وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات وكذا يجب حراسة
السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيرها فذكره باطلاع الله
عليك وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع

والزم الخشوع القلب

والزم الخشوع القلب فانه اخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع الباطن خشوع الظاهر قال
صلعم وقد رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي
ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه
الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند
من يعرف ملك الموت ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي
الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله ومن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله
تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين فصل واما الركوع فينبغي ان
ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة
نبيه ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد
خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على
على تقرير ذلك في قلبك بلسان فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم
من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا
انه راحم ذلك وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله
لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المقتضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين
ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت
وعن امير المؤمنين انه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تأويله
آمنت بك ولو ضربت عنقي وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم لا يركع

عبد لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله بنور ربنا واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه
والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب
ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه
خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين وحكي ان ربيع ابن
خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا اصبح تزفر وقال آه سبق المخلصون
وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته
الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده فان الله تعالى يرفع عباده
بقدر تواضعهم له وهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع
عظمته على سرائرهم فصل ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز
اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا
فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك
موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب
خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده
بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك
في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر
فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار
وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين انه سئل عن معنى سجدة
الاولى فقال تأويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتأويل رفع راسك

ومنها اخرجتنا

ومنها اخرجتنا والسجدة الثانية واليها تعيدنا ورفع راسك منها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما افلح من خلا بربه
في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافل لاه عما اعد الله للساجدين من انس العاجل وراحة
الآجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع
حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب
يطأه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل معنى السجود سبب
التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر
انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري عن جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه
العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون الله فهو قريب
من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله تعالى ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلعم قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب
الاخلاص لطاعتي ولوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في
صلوته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه واسمه في ديوان الخاسرين فصل اذا جلست
للتشهد بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة
فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف منك
غير واقع على وجهه فاجعل يدك صفرا من فوائدها الآن يتداركك الله برحمته
ويقبل منك الناقص بفضله وارجع الى مبدء الامر واصل الدين وتمسك بكلمة
التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد

له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم وصل عليه وعلى آله محققا عهد الله باعادة كلمتي
الشهادة متوجها بهما لتاسيس مراتب العبادة فانهما اول الوسائل واساس الفواضل متوقعا
لاجابته صلى الله عليه وآله لك بصلاتك عشر امثال صلوته اذا اتيت بحقيقة صلوتك عليه التي لو وصل
اليك منها واحدة افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التشهد ثناء على الله فكن عبدا
له في السر خاضعا له في الفعل كما انك له عبد له في القول والدعوى وصل صدق لسانك
بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق
عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته
ومشيته وهم عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال الله تعالى فاستعمل العبودية
في الرضا بحكمه وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فاوصل
صلوته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر ان لا تفوتك بركات معرفة
حرمته فتحرم عن فائدة صلوته فصل فاذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة
سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية انبياء الله والائمة عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة
المحصين لاعمالك واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته و
لا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين و
اللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصده لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة
ورافته الكاملة في اجزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا عن درجات
القبول منحطا عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم بالسلام
مع تقدم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك ايضا ثم يقصدوا

مقصدك بسلام ثان واذا فعلت ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم من الله مزيد الاكرام وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وآله خاشعا قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة والسلام
من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات
وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه
وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة
المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك
ثم عدوك فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه
هذا فلا سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق
فصل اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط
الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك
الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين
بالصلوة فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا و
بوراثتهم الفردوس آخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او
قال اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق راسه الى افق السماء والملائكة
تحفه من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم من
ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا فصل وتختص

صلوة الجمعة باستحضار ان يومها يوم عظيم وعيد شريف خص الله به هذه الامة وجعله
وقتا شريفا لعباده ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على الاعمال
الصالحة وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال وجعل اهم ما يقع فيه
من طاعته ما يوجب الزلفى اليه صلوة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله
وخصها من بين صلوات التي هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين
امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذالكم
خير لكم ان كنتم تعلمون وفي هذه الاية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ما ينبغي
له من لحظ من المعاني ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه تنبيه على ان
الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا وامثاله
هو السر في كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما يتم مع توجه التام الى
الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد في بعض التفسير فضلا
عن ان يكون ذكرا مطلقا فلاجرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات
والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول في حضرته و
الفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف
والتطيب والتعمم وحلق الراس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من
السنن بقلب مقبل صاف وعمل خالص ونية خالصة كما تفعل ذلك في لقاء
ملك الدنيا ولا تقصد بهذه الوظايف حظك من الدنيا فتخسر صفقتك و
تظهر بعد ذلك حسرتك وكلما امكنك تكثير المطالب التي تترتب عليه الثواب عملك
فاقصدها بوظايف ثواب عملك بقصدك ان امكنك ذلك فصل اما صلوة

العيدين فاحضر في قلبك انهما يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب على من قبل صومه
وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك والابتهال الى الله تعالى فيها وقبلها و
بعدها في قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من خيبة الرد والخذلان
والطرد فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وانما هو عيد من امن الوعيد وسلم من النقاش و
والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظايف واسباب
التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تحظى بالمناجات والخضوع لديه والابتهال
فرحك فيه بما لم يخلق لاجله من حطام الدنيا بل بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الاخرة فصل
واما الايات فاستحضر عندها اهوال الاخرة وزلزالها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة ووجل الخلايق
وخوفهم من الاخذ والنكال والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع
والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدايد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة
على الهفوة والزلة وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة عسى ان ينظر اليك وانت
منكسر النفس مطرق الراس مستحي من التقصير فيقبل توبتك ويصالحك بمسامح عفوك فان السجاد ع
لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منها فافزعوا الى الله وراجعوه
وقال الرضا عم انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت ام
لعذاب فاحب النبي صلعم ان يفزع امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم
مكروهها كما صرف عن قوم يونس ع حين تضرعوا الى الله عز وجل فصل ينبغي للمصلي ان يعقب
بالذكر والدعاء فقد ورد في فضايلها ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى اما الذكر فالنافع منه
هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات وللذكر اول
واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب والمطلوب منه ذلك الانس

فان العبد فی بدایة الامر یکون متکلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الی ذکر الله تعم
فان وفق للمداومة انس به وانغرس فی قلبه حب المذکور ومن احب شیئا اکثر ذکره
ومن اکثر ذکر شیء وان کان تکلفا احبه ثم اذا حصل الانس بذکر الله انقطع عن غیر الله وما
سوی الله یفارقه عند الموت ولا یبقی الا ذکر الله فان کان قد انس به تمتع به وتلذذ
بانقطاع العوایق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات فی الحیوة تصده عن ذکر الله و
لا یبقی بعد الموت عایق فکانه خلی بینه وبین محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذی
کان ممنوعا فیه عما به انسه وهذا الانس یتلذذ به العبد بعد موته الی ان ینزل فی جوار الله
ویترقی من الذکر الی اللقاء واما الدعاء فهو مخ العبادة کما ورد فی الحدیث النبوی علیه السلام
فی قوله تعم ان الذین یستکبرون عن عبادتی سیدخلون جهنم داخرین قال هو الدعاء وافضل
العبادة الدعاء وقال فی قوله سبحانه ان ابراهیم لاواه حلیم قال الاواه هو الدعاء وافضل
العبادة الدعاء وقال فی قوله سبحانه وسئل عم ای العبادة افضل فقال ما من شیء افضل
عند الله من ان یسئل ویطلب مما عنده وما من احد ابغض الی الله ممن یستکبر عن عبادته ولا یسئل
ما عنده وقال امیر المؤمنین احب الاعمال الی الله تعم فی الارض الدعاء وکان علیه السلام رجلا
دعاء وقد علم الدعاء مفاتیح النجاح ومقالید الفلاح وخیر الدعاء ما صدر عن صدر نقی
وقلب تقی وفی المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص یکون الخلاص فاذا اشتد الفزع
فالی الله المفزع وفی مصباح الشریعة قال الصادق ع احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو
وکیف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وکبریائه وعاین بقلبک علمه بما فی ضمیرک و
اطلاعه علی سرک وما یکن فیه من الحق والباطل واعرف طریق نجاتک وهلاکک
کیلا تدعوا الله بشیء فیه هلاکک وانت تظن ان فیه نجاتک قال الله تعم ویدعو الانسان

بالشر دعاءه

کنت العالم والکنز فهو مکنون ومکنی الرتبة فهو مستور حال

بالشر دعاءه بالخیر وکان الانسان عجولا وتفکر ماذا تسئل ولماذا تسئل والدعاء استجابة الکل
منک للحق وتذویب المهجة فی مشاهدة الرب وترک الاختیار جمیعا وتسلیم الامور
کلها ظاهرها وباطنها الی الله فان لم تات بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه یعلم السر
واخفی فلعلک تدعوه بشیء قد علم من نیتک بخلاف ذلک واعلم انه لو لم یکن امرنا
الله بالدعاء لکنا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علینا بالاجابة وکیف وقد ضمن ذلک لمن اتی
بشرایط الدعاء وقال فاذا اتیت بما ذکرت لک من شرایط الدعاء واخلصت سرک
لوجهه فابشر باحدی ثلثة اما ان یعجل لک ما سئلت او یدخر لک ما هو اعظم منه واما ان
یصرف عنک من البلاء ما ان لو ارسله علیک لهلکت وروی عن الصادق عم انه قرا امن
یجیب المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو فلا یستجیب لنا فقال لانکم تدعون من لا تعرفونه وتسئلون
ما لا تفهمونه فالاضطرار عین الدین وکثرة الدعاء مع العمی عن الله من علامة الخذلان لان من لا یعرف
ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حکم علی الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحکم علی الله
من الجراة علی الله الباب الرابع فی تلاوة القران قال النبی صلعم القران هدی من الضلالة
وتبیان من العمی واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضیاء من الاحداث وعصمة من الهلکة
ورشد من الغوایة وبیان من الفتن وبلاغ من الدنیا الی الاخرة وفیه کمال دینکم وما عدل احد
عن القران الا الی النار وقال صلعم انا اول وافد علی العزیز الجبار یوم القیمة وکتابه واهل
بیتی ثم امتی ثم اسالهم ما فعلتم بکتاب الله واهل بیتی وقال امیر المؤمنین صلوات الله علیه
فی وصایاه لابنه محمد بن الحنفیة وعلیک بتلاوة القران والعمل به ولزوم فرایضه
وشرایعه وحلاله وحرامه وامره ونهیه والتهجد به وتلاوته فی لیلک ونهارک فانه عهد
من الله تعم الی خلقه فهو واجب علی کل مسلم ان ینظر کل یوم فی عهده ولو خمسین ایة

اجداث القبور

الغوایة الغی من الضلالة

واعلم ان درجات الجنة على قدر آيات القران فاذا كان يوم القيمة يقال لقارئ القران
اقرء وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين ارفع درجة منه وعن
الباقر عم يجئ القران في احسن منظور اليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون هذا
رجل منا فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو منا حتى ينتهي الى رب العزة عز وجل
فيقول يا رب فلان بن فلان اظمأت هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا وفلان
بن فلان لم اظمئ هواجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى اذا دخلتم الجنة على منازلهم
فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرء وارق فيقرء ويرقى حتى يبلغ كل رجل
منهم منزلته التي هي له فينزلها وعن النبي صلعم ما يقرب منه مع زيادات وعن
الصادق عم قال قال رسول الله اقرء القران بالحان العرب واصواتها واياكم و
لحون اهل الفسق والكبائر فانه سيجئ بعدي اقوام يرجعون القران ترجيع
الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم
وعنه عم انه سئل عن قول الله تعالى ورتل القران ترتيلا قال قال امير المؤمنين عم
بينه تبيانا ولا تهذه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا به قلوبكم القاسية
ولا يكون هم احدكم اخر السورة وفي رواية قال الترتيل هو حفظ الوقوف
وبيان الحروف وعن الصادق عم هو ان تمكث وتحسن به صوتك وعنه عم قال
القران نزل بالحزن فاقرءوه بالحزن وعن النبي صلعم واتلوا القران وابكوا وان
لم تبكوا فتباكوا وعن الصادق عم قال قال النبي صلعم لكل شئ حلية وحلية القران الصوت
الحسن وعنه عم قال كان علي بن الحسين عم احسن الناس صوتا بالقران وكان السقاؤن يمرون
فيقفون ببابه ويسمعون قراءته مفصل في مصباح الشريعة قال الصادق عم

من قرأ القران وهو لم يخضع اوله لم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا
مبينا فقارئ القران يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر
من الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه
من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القران وفوائده واذا اتخذ مجلسا
خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاولين استانس روحه وسره بالله ووجد
حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كرامته
وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على
ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة
فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف
تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله
ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك
حروفه في اضاعة حدوده فصل ينبغي للتالي القران من امور باطنة منها فهم عظمة الكلام
وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه
فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام
خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي الصفات البشر اذ يعجز
البشر عن الوصول لفهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه
جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من
عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عم لما اطاق سماع كلامه

كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا وهذا لان الانسان لما اراد ان يفهموا
بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا
الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه
فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم وباصوات
يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي
يطيقون حملها وكان ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك
اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى
ويامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام
شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا
بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم
ويستدلون به على حوائجهم فقط فصل ومنها التعظيم للمتكلم فالقارئ عند
البداية بتلاوة القرآن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس من كلام
البشر وان في تلاوة كلامه سبحانه غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما
ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا
فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان منقطعا
عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد
المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب

ومنها حضور

ومنها حضور القلب وترك حديث النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه
يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له
وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في
غيرها ومنها التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على
سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر
في الباطن قال امير المؤمنين لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن
من التدبر الا بالترديد فليردد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلعم فقام ليلة
بآية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فصل
ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات
الله تعالى وذكر افعاله وذكر افعال انبيائه وذكر احوال المكذبين وانهم كيف اهلكوا
وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل
معاني هذه الصفات والاسماء لتنكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف
الا للموفقين واليه اشار امير المؤمنين ع بقوله ما اسر الى رسول الله صلعم شيئا كتمه عن
الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم و
اما افعاله فكذكره خلق الله السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله
وجلاله اذ الفعل تدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل

الفاعل دون الفعل فمن الحق راه فى كل شئ اذ كل شئ منه واليه وبه وله فهو الرائى فى
كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شئ ما خلا الله باطل وان كل شئ هالك الا
وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتلوا فليفهم منه
صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم لو اهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه
واذا سمع نصرتهم فى اخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال
المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته
ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر
بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة
والنار وساير ما فى القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له
وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين فصل
ومنها التخلى عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معانى القران لاسباب
وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القران قال
النبى صلعم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى الملكوت
ومعانى القران من جملة الملكوت لانها [illegible] انما تدرك بنور البصيرة دون
الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف
باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرف الناس
عن فهم معانى كلام الله تعالى فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج

مخرجه

من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعانى واعظم ضحكة للشيطان
من كان مطيعا له فى مثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه و
وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة
فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فان لمع
برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة
وقال كيف يخطر هذا ببالك وهذا خلاف معتقد اباءك ثالثها ان يكون مصرا على
ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة
القلب وصداه وهو كالخبث على المراة كذلك قال النبى صلعم اذا عظمت امتى
الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة
الوحى وقد شرط الله الانابة فى الفهم والتذكرة فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب و
قال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولو الالباب والذى اثر غرور الدنيا
على نعيم الاخرة فليس من ذوى الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها
ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله
النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالراى وان من فسر القران برايه فقد تبوا مقعده
من النار وهذا لا يدرى ما معنى التفسير بالراى ولا يفهم معنى قول امير المؤمنين عم الا
ان يوتى الله العبد فهما فى القران وانه لو كان الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه
فصل ومنها التخصص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب فى القران فان
سمع امرا او نهيا قدر انه هو المامور والمنهى وان سمع وعدا او وعيدا

سبب التحريك قصة وافادة [illegible]
ورد رسالة [illegible]
افاده احمد

فليفهم ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار وليأخذ ما يحتاج
اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلعم وامته ولذلك قال الله
ما نثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار
نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة
ونور للعالمين ولذلك امر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم
وما انزل اليكم وما انزل من الكتاب والحكمة وقال ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
وانزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد القاري مقصود
فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود وقال بعض الحكماء هذا القران رسائل
اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها
في الطاعات بالسنن المتبعات فصل ومنها التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة
بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد ووجل يتصف به
قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب
الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة
الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تع واني لغفار ثم اتبعه ذلك
باربعة شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان
الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق و

تواصوا

بالصبر ذكر اربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير
بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قيل ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران
يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته
وبطالته فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد
المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة
يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته
وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم وعند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقا اليها
وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا فمقاصد القران انما يراد لاستجلاب هذه
الاحوال الى القلب وللعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تع كذلك اتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها
فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيها
اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ

العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار فاللسان واعظ والقلب
العقل مترجم والقلب متعظ فصل ومنها الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام
من الله لا من نفسه ودرجات القراءة ثلثة ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله
تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال
والتملق والتضرع والابتهال ثم ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه
بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرى
في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى
تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف
الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين
وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن
الدرجة العليا اخبر الصادق عم فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه
ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر
مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على
قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه
الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا
القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه صلعم يتلوه على اصحابه ثم
رفعت

رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عم يلقيه على رسول الله صلعم
ثم جاد الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة و
نعيما لا اصبر عنه فصل ومنها التبري واعني به ان يتبرى من حوله وقوته و
الالتفات الى نفسه بعين الرضاء والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين
فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان
يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك
وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا والى هذا امير المؤمنين عم في الخطبة التي
يصف فيها المتقين بقوله عم واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع
قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة
كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف
حتى يسوق الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في
البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه
ومهما شاهد نفسه بعين الرضاء صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات
الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب احواله
فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة
الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار
حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف

والشديد العقوبة والمرجو المخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف
والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلام والصفات يتقلب القلب في اختلاف
الحالات وبحسب كل منها ينبعث المكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها
اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض
وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار ومتكبر لا يبالي وكلام
حنان متعطف لا يهمل

الباب الخامس في الزكوة والمعروف

قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال النبي صلعم واذا منعت
الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر عليه السلام ان الله تعالى
قرن الزكوة بالصلوة وقال اقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة و
لم يؤت الزكوة فلم يقم الصلوة وقال الصادق ع ما فرض الله على هذه الامة
شيئا اشد عليهم من الزكوة وفيها يهلك عامتهم وقال من منع قيراطا من
الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت وقال ع ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة ماله الا
حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه
فاذا راى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقا
في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال
ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله تعالى بقاع قرقر يطاه كل

ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها
الا طوقه الله تعالى ربعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة وقال ع انما وضعت
الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم
ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا و
لا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع
رحمته من منع حق الله في ماله وبالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه
ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك التسبيح في ذلك اليوم وان احب
الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين
بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله حسب الاموال والمساكين
فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين درهما ولو لم يكفهم لزادهم وقال ع
ليس الزكوة يحمد بها صاحبها وانما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمي مسلما
ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة وان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقيل اصلحك
الله وما علينا في اموالنا غير الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول
في كتابه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قيل فالحق المعلوم الذي علينا قال
هو والله الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر
قل او كثر غير انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض تقرضه
والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا جيرانا اذا

اذا اعرناهم متاعنا كرهوه وافسدوه فعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان
تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من
الزكوة قيل قوله ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس من الزكوة
وقال عم انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل
ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل عم في كم تجب الزكوة من المال فقال اما الظاهرة
ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر على اخيك بما هو احوج منك

لتكنزوا ما دونه

فصل المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ثم صلة من
تجب صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله كل [illegible] تقرع على فقير او رحم
اليه اوالى غني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها جلبا للخير او دفعا
للشر دنيويين او دينيين مما تعين شرعا او اقتضى نفع عام ببناء مسجد ونحوه
او خاص كارشاد الضال والتعليم وقربان المراة للتعفف والعدل وقضاء
حاجة المؤمن وانظار المعسر والتحليل والقرض والحمل على الدابة وطيب
الكلام والخطوة الى الصلاة والتوسع على العيال والتبسم في وجه
اخيه واعارة المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد سمي الكل بالصدقة
سوى الواجبات وورد كل معروف صدقة والنص يشمل الجميع وربما يخص بما سوى
الصدقة وورد البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان
عن صاحبهما سبعين ميتة سوء وورد صنائع المعروف تقي مصارع السوء

وشرط الانفاق

وشرط الانفاق القوام قال الله عز وجل الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وعن الصادق عم انه تلا هذه الآية فاخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال
هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال
هذا الاسراف ثم اخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام و
لا باس بالرجل اذا امسك ماله مراقبا لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون
قصده في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجه قال النبي صلعم افضل
الصدقة صدقة عن ظهر غنى يعني على ما يكون بعد الغنى والمؤنة لئلا يكون
القلب متعلقا بما يعطي وقال افضل الصدقة صدقة يكون عن فضل الكف
يعني عما يفضل عن الكفاف وقال ولا يلوم الله على الكفاف يعني على ما اقتناه
ما يكف به

المحافظة
الاقتناء
والنفقة الحافظة

فصل اعلم ان السر في الايجاب الزكوة وانفاق المال
امتحان العبد وفيه ثلاث معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام
للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد
محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل
الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة
عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون
عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب
واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني

التطهير عن صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي صلعم ثلاث مهلكات شح مطاع و
هوى متبع واعجاب المرء بنفسه قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وانما يزول صفة البخل بان يتعود على بذل المال فحب الشيء لا ينقطع
الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالانفاق بهذا المعنى
يطهر صاحبه عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و
بقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى والمعنى الثالث شكر النعمة
فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة
البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق
الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسخو نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى في اغنائه عن
السؤال فصل ينبغي للمنفق ان يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير
من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب
لمة الملك وان لا يحوج الفقير الى السؤال فورد انه مكافات لوجهه
المبذول وثمن لما اخذ منه وليس بمعروف وان يعين لها الوقت وقتا
فاضلا كشهر رمضان سيما عشره الاخر وذي الحجة سيما عشره الاول والغدير و
يسر في المستحب اخفيت لا يدري شماله ما يعطي يمينه قال الصادق عم الصدقة
في السر والله افضل من الصدقة في العلانية وكان اذا اعتم وذهب من
الليل شطره اخذ جرابا فيه خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به
ارباب الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى عليه السلام فقدوا

ذلك فعلموا

فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله عم ومعنى اعتم صلى العتمة وعن النبي صلعم صدقة السر تطفئ غضب
الرب وقال الصادق عم كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكل ما كان
تطوعا فاسراره افضل من اعلانه فلو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك
حسنا جميلا وقال في قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي سوى الزكوة
وسئل النبي صلعم اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء
وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغي ان
يستصغر الاعطاء ليعظم عند الله تعالى وهو بذكر التوفيق والثواب قال الصادق عم
رايت المعروف لا يصلح الا بثلاث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته
عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير ذلك محقته ونكدته
ويعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا
مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا على ربكم وان تعطيه ان قدر فورد اذا اعطيته
فاغنه ويقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع في يد الله تعالى اولا قال امير المؤمنين عم اذا ناولتم
السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز وجل ياخذ الصدقات وعن
رسول الله صلعم ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الاية
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب

الرحم وعن الصادق ع ان الله تعالى يقول ما من شيء الا وقد وكلت من يقبضه غيري الا الصدقة
فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل ليتصدق او المراة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة
فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فتلقاني يوم القيمة وهي مثل جبل احد واعظم من
احد وان يلتمس الدعاء من الاخذ لان دعاءه يستجاب فيهم ويصرف لمن يكثر باعطائه
الاجر بكونه متقيا عالما صادقا يرى النعمة من الله ساترا للحاجة محصورا في سبيل الله
محبوسا في طريق الاخرة بمرض او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب من الاسباب
ولكن يرفع اهل العلم والايمان من الزكوة الواجبة والصدقات لانها اوساخ
الاموال فورد ايحب احدكم ان يغسل به ثم يصبه على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب
اعظم من وسخ البدن فيوسع عليهم بالهدايا والصلوة ويبدا بمن يعول ثم الاقرب
والاقرب فالاقرب وورد ان افضلها على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض وكانه لمخالفة
الهوى وورد لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر
وصلة الرحم باربعة وعشرين وان يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء
ولا يرد السائل الا بلطف فورد اكرم السائل ببذل يسير او برد جميل اطعموا
ثلاثة وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم وان يغتنم
السائل سيما فيما يرق له القلب فهو علامة صدق السائل وبسر الظن ينفع عنه
فقده ولا يحتقر ما عنده فورد لا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه
وورد افضل الصدقة جهد المقل وان لا يملك ما تصدق به اختيارا

ويقسم صدقة السر فورد انه افضل المعطين ويجتنب المن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف
بقوة استعباده حيانة القابض بعد العطاء والمحسن هو القابض لايصاله الى الثواب
والانجاء من العقاب وكونه نائبا عنه تعالى وهو حق الله عز وجل احال عليه الفقير
انجازا لما وعده من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول الخشن والقطوب
والاستخدام وهتك الستر والاستخفاف وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض
الناشيين من الجهل برجحان رضا الله تعالى على خسيس فان ونسيان فضل
الفقر وعن الصادق ع قال كان امير المؤمنين يقول من علم ان ما صنع انما صنع
الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس من غيرك
شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة
لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وعن الباقر ع انه قيل له الرجل
من اصحابنا يستحيي ان ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة
فقال اعطه ولا تسم له ولا تذل المؤمن فصل ينبغي للاخذ ان يعلم ان الله
تعالى امر المعطي بصرفه اليه ليكفي مهمه فيتفرغ للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له
ويثني عليه مع رؤية نعمة من الله سبحانه قال النبي صلعم من لم يشكر الناس لم يشكر الله
وقال الصادق ع لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعوا سبيل
المعروف قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع
ذلك الى غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول

قطب بعدم الرشد وكره

قوله لم يستبطئ من
الابطاء ضد العاجل

الجميل فان ضعف كان شكورا ومن شكر كان كريما ويستر عيوب صاحب العطاء ولا يحقره
ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند الناس صنيعه بحيث لا يخرجه
عن كونه واسطة لئلا يكون مشركا وعن الصادق ع في قول الله تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله وهم مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت
كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه
قيل فنقول لولا ان الله منّ علي بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا ونحوه وان يتوقى
مواضع الريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا ياخذ ممن لا يحل ماله ولا الزيادة على
قدر الحاجة ولا يسئل علانية عن رؤس الملاء ممن يستحق الرد ويتورع العالم عن اخذ
الزكوة ما لم يضطر اليه تنزيها للنفس عن الاوساخ وان يسر الاخذ بنيته انه
ابقى لستر المروة وكشف الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم عن الحسد
وسوء الظن والغيبة واعانة للمعطي على الاسرار واصون للنفس عن الاذلال
وعن شبهة الشركة فان الاحضار شركائه فيها او يظهر بنيته الاخلاص والصدق والسلامة
عن تلبيس الحال واسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة و
التبري عن الكبر واقامة سنة الشكر وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات
والاحوال والاشخاص فليراقب ذلك فانه موضع الغرور فصل ينبغي
للمؤمن ان لا يسال الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يستعفف عن السؤال
ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيمة وقال
النبي صلعم يوما لاصحابه الا تبايعون فقالوا بايعناك يا رسول الله قال

تبايعون

تبايعون على ان لا تسالوا الناس شيئا فكان بعد ذلك تقع المخصرة من يد احدهم
فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها وقال صلعم لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة
حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسال وقال من سالنا
اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال السجاد ع ضمنت على ربي ان لا يسال
احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسال من
غير حاجة ونظر ع يوم عرفة الى رجال يسئلون فقال هؤلاء شرار من خلق الله
الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر ع اقسم بالله وهو حق
ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال ع طلب
الحوائج الى الناس استلاب للعزة ومذهبة للحياء واليأس مما في ايدي
الناس عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق ع شيعتنا من لا يسال
الناس شيئا ولو مات جوعا وقال ع لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سال احد احدا
ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع احد احدا وقال من سال من غير حاجة
فكانما ياكل الجمر وسال رجل النبي صلعم فقال اسالك بوجه الله فامر النبي صلعم
فضرب خمسة اسواط ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا تسال بوجه الكريم فصل
اعلم ان للجسد زكوة كما ان في المال زكوة وهو نقصه لمزيد الخير والبركة اما اضطرارا
في الطاعة ويمنع عن المعصية فعن الصادق ع قال قال النبي صلعم يوما لاصحابه
ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة
قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم

بان يصاب
بآفة او اختيارا
بان يعرف [illegible]

ان نصاب بافة قال فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه قال فلما رآهم
قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون ما عنيت بقولي قالوا لا يا رسول الله
صلعم قال ان الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض
المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة
لله عز وجل بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر
بالعبر والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع
العلم والحكمة والقران وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه
نجاتك بالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة
اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر و
غيره وزكوة اليد البذل والعطاء والسخاء بما انعم الله به عليك وتحريكها بكتبة
العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعم والقبض عن الشرور
وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر
واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه اصلاح قلبك وسلامة
دينك هذا ما تحمل القلوب والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه الا عباده
المقربون المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم
وعن النبي صلعم ولكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام فصل في الصوم
قال الله تعم كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال

النبي صلعم

النبي صلعم الصوم جنة من النار وقال الصائم في عبادة وان كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما
وقال قال الله تعم الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل
والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقال
الباقر عم بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة والزكوة والحج والصوم والولاية
وقال الصادق عم من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر فاصابه ظماء وكل الله به
الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله تعم ما اطيب ريحك
وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له وقال نوم الصائم عبادة وقال الكاظم عم
نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب وقال الكاظم عم
قيلوا فان الله يطعم الصائم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم
الا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة
الروحانية لكفى به فضلا ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار
لانه يدفع حر الشهوة والغضب اللتين بهما يصلى نار جهنم في باطن الانسان
في الدنيا ويبرز له في الاخرة كما ان الجنة تدفع عن صاحبها حر الحديد وانما قال
ما لم يغتب مسلما لان الغيبة اكل لحم الميتة فهو نوع من الاكل يتقوت به البدن
وانما كان الصوم لله ومشرفا بالنسبة الى الله وان كان العبادات كلها له كما
شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم
كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق

ومن ثم الصوم لا يعلمه الا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد خالص لله وجزاؤه
منه عنده خاصة من غير مشاركة احد فيه والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة
الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال
النبي صلعم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع
فالشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم
وما داموا يترددون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه
قال رسول الله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا
الى ملكوت السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما الخواص فاستشعارهم
التوفيق من الله عز وجل على اتمام الصيام ونيل الاجر واما العوام فانقضاء
المقاسات ونيل المشتهيات وسبب الفرحة عند لقاء الرب اما الخواص
فلحصول نور القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب
المظلمتين له بالجوع الباعث لهم ان يعبدوا الله عيانا كانهم يرونه وهو
المعبر باللقاء وخلوف الفم تغيره وانما صار اطيب عند الله من ريح المسك
لانه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من الانسان كما ان بدنه
عند نفسه واليه اشير في قوله نعم ما عندكم ينفد وما عند الله باق وان
طيب الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي والثاني
حسي صوري فصل اعلم ان للصوم ثلاث درجات صوم العموم

وصوم الخصوص

وصوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام قال
الصادق ع اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدّ اشياء غير هذا وقال
لا يكون يوم صومك كيوم فطرك وزاد في خبر آخر ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار
الصيام فان رسول الله صلعم سمع امراة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها
كلي فقالت اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس
من الطعام والشراب فقط وعن النبي صلعم وان الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما
فلا يرفث ولا يجهل وان امرء قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وقال صلعم من اغتاب
مسلما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرّم الله
وقال كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وقال الصادق ع ان الكذب ليفطر
الصائم قيل واينا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على
الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة
وغيرهما مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه
دون الاجزاء والخروج من عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب الصلوة و
لذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم واما صوم خصوص الخصوص
فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية
ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر بالفكر في الدنيا

الرفث الجماع والرفث رفيع الفحش

الا دنيا تزاد للدين فان ذلك زاد الاخرة ليس من الدنيا قال ارباب القلوب من تحركت
همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق
بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهو من رتبة الانبياء والصديقين والمقربين
وفي مقابلها من يكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فورد ما من وعاء ابغض الى الله
من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة واذا
تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى
استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما
لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس
على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار [illegible] الى العشاء حتى هاجت
وقويت رغبتها ثم اطعمت اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت
قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح
الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور
ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل الاكلة التي كان ياكلها كل يوم ليلة
لو لم يصم واما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه
ولا يخفى عليه معان تجلت وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها
شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه
محجوب

محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو
الامر كله ومبدا ذلك تقليل الطعام فصل في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
قال رسول الله صلعم الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة
فاذا صمت فانو بصومك كف النفس من الشهوات وقطع الهمة عن خطوات
الشيطان فانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما وشرابا متوقعا في كل
لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة
يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله صلعم قال الله عز وجل
الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء
القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان
على الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب
انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى
وكفى بما ذكرناه منه لمن عقل ووفق لاستعماله الباب الرابع في الحج وزيارة
المشاهد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن
كفر فان الله غني عن العالمين وقال النبي صلعم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا وقال الصادق عليه السلام من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك
حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت يهوديا او

والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية اعمالها
واما بيان السر فيها فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات
والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات
ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش
لطلب الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى
الله عليهم في كتابه تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
وقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق
على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى
محمدا صلعم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة سبق المرسلين وسلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلعم ابدلنا
بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف
البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه
حرما لبيته وتفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد
حرمة موضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده
الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثاء غبراء متواضعين
لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في
رقهم

في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا
لا يانس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار و
التردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق
والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم
كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع
والسجود في الصلوة تواضع لله تعالى بافعال هي هيئات التواضع وللنفوس
انس بتعظيم الله فاما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس
ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها
باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل
انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك
الميل معينا للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
ولذلك قال النبي صلعم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا وتعبدا
ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط
نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها
بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستعباد
كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس

[illegible]

[illegible]

وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت
ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات
وقد ظهر مما ذكر ان قاصد البيت قاصد الى الله وزائر فبالحري ان يفوز
بلقاء الله في ميعاده المضروب له والشوق الى لقاء الله مشوق الى اسباب
اللقاء فليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء وغيره فصل
ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب الى
الله توبة خالصة ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون
متوجها الى الله بجميع قلبه ويقدر انه لا يعود ولا يكتب وصيته لاهله واولاده
ويهيئ السفر الآخرة فان ذلك بين يديه على قرب وان يتأدب بآداب
السفر كما ذكر في موضعها ولا سيما توسيع الزاد وتطييبه وطيب
الكلام ولينه وحفظ الحاج ما استطاع فورد من الحج طيب الكلام و
اطعام الطعام وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاغتمام
بالانفاق وبما اصيب في المال فدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله
وان يكون قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضرا
عند كل حركة وسكون متذكرا به امرا اخرويا يناسبه ويكون اشعث
اغبر غير متزين ويمشي ان قدر خصوصا بين المشاعر فورد ما تقرب الى الله
بشيء افضل من المشي الا لتقليل النفقة مع اليسار فان الركوب حينئذ

افضل كما ورد وربما لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل فورد ان ركوبه احب الي فان
ذلك اقوى على الدعاء والعبادة وكان حسن بن علي عليهما السلام يمشي ويساق معه المحامل
والرحل واذا احضرت الراحلة فليشكر الله بقلبه على تسخيره له الدواب ليتحمل عنه
الاذى ويخفف عنه المشقة فاذا دخل البادية متوجها الى الميقات ومشاهد
تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة
وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال
منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات
ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف
في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر وليتذكر عند لبس ثوب الاحرام لبس الكفن
ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى بيت
الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف
لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما لا مخيط في
الكفن واما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله فليرج
ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجاء
والخوف مترددا عن حوله وقوته متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت
التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر وقد ورد ان السجاد عليه السلام لما احرم
واستوت راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع

ان يلبّي فقيل له لِمَ لا تلبّي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبّى غشي عليه
سقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فصل اذا دخل مكة فليتذكر عندها
انه انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا
للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت ولكن رجاؤه في جميع الاوقات
غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير
مضيع فاذا وقع بصره على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر
كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت
وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه واما الطواف
فانه صلوة فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق في باب
الصلوة وليعلم انه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين
حوله ولا يظن ان المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر رب
البيت حتى لا يبتدئ الذكر الا به ولا يختم الا به كما يبتدئ الطائف الطواف من البيت
ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان
البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الغيب
وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب
والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة
وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق

عن مثل ذلك

عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم
واما استلام الحجر فانه بمنزلة اليمين قال رسول الله صلعم استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه
يصافح بها خلقه مصافحة العبد او الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة اراد بالركن الحجر
الاسود لانه موضوع في الركن وانما شبه باليمين لانه واسطة بين الله وبين عباده
في النيل والوصول والتحبب والرضا كاليمين حين التصافح والدخيل الملتجئ قال
الصادق ع ان الله تبارك لما اخذ مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال
امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة وقال الركن اليماني بابنا الذي
ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه اعمال العباد وانما شبه بباب الجنة لان
استلامه وسيلة الى دخولها وبالنهر لانه يغسل به الذنوب وليكن نيته في الاستلام
طلبا للقرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن
عن النار في كل جزء لاق البيت ولتكن نيته في التعلق باستار البيت الالحاح
في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع
اليه في عفوه عنه المظهر انه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه
لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل فصل واما السعي
بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك
جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين
الرحمة من قبول او رد واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام

كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه

وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر
عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم
في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك
فليلازم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليحقق
رجائه بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى
كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف
عن طبقة من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت
للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه
اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على
طلب الرحمة فبعيد ان يخيب املهم ويضيع سعيهم ولذلك قيل من اعظم
الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له واما الوقوف بالمشعر
فليستحضر انه قد اقبل عليه مولاه بعد ان كان مدبرا عنه طاردا له عن بابه
فاذن له في دخول حرمه فان المشعر من جملة الحرم وعرفات خارجة عنه
فقد اشرف على باب الرحمة وهبت عليه نسمات الرأفة وكسى خلع القبول
بالاذن في دخول حرم الملك واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر
اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل
والنفس ثم ليقصد به التشبه بابراهيم ع حيث عرض له ابليس في ذلك

الموضع

الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنة بمعصية فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله
وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصا الى الجمار وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان و
يقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما بمجرد الامر
من غير حظ العقل فيه واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال
وليكمل الهدي واجزائه وليرج ان يعتق بكل جزء منها جزء منه من النار
كما ورد الوعد به فصل وقال في مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا اردت
الحج فجرد قلبك لله تعالى من شغل كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك كلها
الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه
وحكمه وقدره ودع الدنيا والراحة والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين
ولا تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة
ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضاء الله واعتمد على ما سواه
صيره وبالا وعدوا ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله و
توفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات
فرائض الله وسنن نبيه صلعم وما يجب عليك من الادب والاحتمال و
الصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات
ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفا
والخضوع والخشوع واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن

طاعة ولبّ بعز اجابة صادقة صافية من الصدر زاكية. اللهم في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى
وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت
وهرول هرولة من هواك وتبرّ من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك
بخروجك للسعي ولا تبغ ما لا يحل لك ولا يستحقه واعترف بالخطايا بعرفات و
جدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرّب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك
الى الملأ الاعلى بصعودك على الجبل واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة
وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات واحلق العيوب
الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلائته من متابعة
مرادك بدخول الحرم ودر حول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله و
سلطانه واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودّع ما سواه بطواف الوداع
واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفاء وكن بمرأى من الله
نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجك هذا ووفاء عهدك الذي
عاهدت به مع ربك واوجبته له الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض الحج
ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنته في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه
الا للاستعانة والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان
السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة هذه مناسك الحج

لنا ولها

من اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى. فصل واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره
على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلعم وجعل اليها هجرته
وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه
الله ثم جعل تربته فيها ثم ليمثل في نفسه اقدام رسول الله صلعم عند ترداده فيها
وانه ما من موضع قدم الا وهو موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على
سكينة ووجل وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي
وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط من
هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته فان ترك حرمة شريعته ولو في دقيقة
من الدقايق فلا يأمن ان يحال بينه وبينه بعد ولده عن محجته وليعظم مع ذلك رجاءه
ان لا يحول الله بينه وبينه بعد ان رزقه الايمان واشخصه من وطنه لاجل
زيارته محبة له وتشوقا الى ان ينظر الى اثاره والى حائط قبره فاذا بلغ المسجد
فليتذكر ان فرايض الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم الملتجى الى الله
ان يرحمه بدخوله اياه خاشعا معظما وما اجدر ذلك المكان بان يستدعي
الخشوع من كل قلب مؤمن واما زيارته فينبغي ان يقف بين يديه ويزوره
ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا
وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وانه يبلغه سلامه وصلوته فليمثل

صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه وليحضر عظم رتبته في قلبه فقد ورد ان الله تعالى وكل
بقبره ملكا يبلغه سلام من يسلم عليه من امته فلا يحق لمن لم يحضر قبره وكيف لمن فارق الوطن
وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة
غرته الكريم قال الصادق عم اذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلعم فات المنبر
وامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينك ووجهك به
فانه يقال انه شفاء للعين وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك
فان رسول الله صلعم قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري
على ترعة من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسئل عم عن روضة اليوم
قال نعم لو كشف الغطاء لرايتم فصل قال النبي صلعم من زار قبري بعد موتي كان
كمن هاجر الي في حيوتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه يبلغني
وقال صلعم لعلي عم يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع
الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة
من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون
زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون
حوضي هم زوارك وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان
بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين

حج بعد

الحج له بالقدم ما يسقط من قشر الشعر
والاظفار والنمر وكذا ...
اذا ...

حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي
وابشر اولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما يعير الزانية بزناها اولئك
شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي وقال الصادق عم لو ان احدكم حج دهره
ثم لم يزر حسين بن علي عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلعم لان
حق الحسين فريضة من الله واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة
المعصومين عليهم السلام وفضلها على الحج والعمرة والغزوة اكثر من ان تحصى
ولعل السر في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة وبرا لهم
ولرسول الله وامير المؤمنين وفاطمة وشيعتهم ومحبيهم بل ساير النبيين والوصيين
صلوات الله عليهم اجمعين وادخال سرور عليهم واجابة لهم وتجديد عهد
لولايتهم واحياء لامرهم وتنكيلا لاعدائهم وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب
من رجاه وطلب رضاه سبحانه الذي يرضاه لمن ارضاه ومع ذلك كله عبادة
لله عز وجل ومسرة عند ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه
ومن جهة الاتيان بعبادته المامور بها ومسرة لهم من هذه الجهة ايضا وقد ثبت
وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة كونه
مؤمنا فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطاء وطهره من الرجس وجعله اماما
للمؤمنين وقدوة للمتقين ولاجله خلق السموات والارضين وجعله صراطه
وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وحبله المتصل بينه وبين

وبين عباده من رسل وانبياء هذا مع ان مقابرهم مشاهد ارواحهم العلية المقدسة
ومحل حضور اشباحهم البرزخية النورية فانهم هناك يشاهدون وهم احياء عند
ربهم يرزقون وبما اتاهم من فضله فرحون واما الحج والعمرة والغزوة وغير ذلك
فانها وان كان فيها انفاق اموال ورجاء اهوال واشخاص ابدان وهجران اوطان
وتحمل مشاق وتجديد ميثاق وشهود شعائر وحضور مشاعر الا انها ليست
بتلك المثابة في المثوبة لان هذه انما هي عبادة لله سبحانه واجابة لامره
عز ذكره ومتوقفة ولا ولياءه بالاتيان بالعبادة فحسب وليست فيها جميع
تلك الامور التي نبهنا عليها هناك مع انها تاتي من كل متبع للاسلام وان
كان ناصبيا بخلاف تلك فانها لا تاتي الا ممن كان يعرف قدرهم من قدرهم
وطرفا من منزلتهم ولو لا ما قصصنا قال الرضا عليه السلام ان لكل امام عهدا في
عنق اوليائه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء
زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان
ائمتهم شفعاءه يوم القيمة

المقالة السادسة في ساير الاعمال الصالحة

وفيها خمسة ابواب

الباب الاول في التوبة

وهي تنزيه القلب عن
الذنب والرجوع من البعد الى القرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال
الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير وهي
فرض على كل حال وعلى الفور وشرطها ان تكون لله سبحانه لا لطلب او جاه
او خوف من سلطان او عدم اسباب وان يتندم اما الندم يعني تالم القلب

وحزنه على

وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة وانما المقدور
تحصيل اسبابه من العلم والايمان وتحقيقهما في القلب قال النبي صلعم الندم توبة
اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا
بطرفيه اعني ثمرته ومثمره والطريق اليها ذكر ما ورد في فضلها والعلم بقبح
الذنوب وشدة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة و
خساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة وخوف الاملاء
بعدم الاخذ العاجل والاستدراج بالاحسان وقطع اسباب الاصرار من
الغرور وحب الدنيا وطول الامل قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا
عن الشوائب وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال رسول الله صلعم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب
له وقال الباقر عم الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة
ظلماء فوجدها وقال الصادق عم في قوله تعالى وتوبوا الى الله توبة نصوحا
قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل واينا لم يعد قال يا فلان ان الله
يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب كثير التوبة وقال اذا
تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال

بذنوبه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه
حتى يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب فصل اعلم انه مهما اشرق نور الايمان
على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان
انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع عليه
النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك
فيشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض
للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي
للماضي ثلاثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة
على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع
المتأخر كما اشرنا اليه فمن نظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ماهي ثم الى الوجوب
ما معناه فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان علم ان معنى الواجب ما هو واجب
في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الامد وعلم انه لا سعادة
في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه
وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء
الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب
ما لابد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن
زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له

بمعرفة جلاله

بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله وعلم كل علم يراد ليكون باعثا
على عمل فلا يقع التفصي عنه بحسبه ما لم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون
باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن
الله وموجبا للمقت وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد بضع وسبعون بابا
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله
قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو بضع وسبعون موجودا اعلاها
القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب
مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها
المستكرهة الصور بطول مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة
التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة
التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد
لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب
من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء
التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال
قريب من ان ينقلع عنه شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة

للايمان في عقده متزلزل قدوم ملك الموت و وروده فكل ايمان لم يثبت في النفس اصله
ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك
وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقى بماء الطاعات على توالي الايام والساعات
حتى رسخ وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط العارفين خوفا
من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون فصل
اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة
قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه
اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور
ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة والغضب وسائر
الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما
يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد
سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا
قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان كالتطارد
بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة
واذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق
جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب انس والف لا محالة
مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع

عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا
على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده
حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان قوي العقل وكمل كان اول شغله قمع
جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل
القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق
دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود ادمي
الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدمة على
غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات
ضروريا في حق كل انسان واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو
ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن
معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم
فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله
فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وباثاره
وبحسب طاقته وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بتشاغل اضداده
رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو
في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل
فلا بد منه الا ان الانبياء والاوصياء عليهم السلام ليس ذنوبهم

كذنوبنا وانما هو ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وعلم زيادة الاجر بسبب ذلك قال
الصادق ع ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب الى الله ويستغفره في
كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم
عليها من غير ذنب كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته
عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل
لا بد من محو آثارها التي انطبعت في القلوب بنور الطاعات قال النبي صلعم
اتبع السيئة بالحسنة تمحها وينبغي ان تكون الحسنة الماحية للسيئة
مناسبة لتلك السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس
الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالعبادة فيه ونحو ذلك وليس
ذلك شرطا وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلعم اني عالجت
امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال
اما صليت معنا فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات و
لا بد ان يكون عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها
قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه
عن قرب عهد به قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال الصادق ع

ذلك لان التوبة مقبولة قبل ان يعاين كما ورد عن رسول الله صلعم ومن ترك المبادرة الى التوبة
بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا
وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال
بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فصل اعلم
انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون
بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله
ومتنعم في الآخرة في جوار الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود
يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها
وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور
النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع نور الحسنات بياض الصابون والماء
الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا وهذا مثل ان يغوص الوسخ لطول
تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال
بلسانه تبت وهذا البيان كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب قابل التوب وقال النبي
صلعم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا
حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال الباقر ع لمحمد بن مسلم

ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستانف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قلت فان عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر الله منه ويتوب ثم فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله وقال الصادق عم ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة قيل يدخله الله به الجنة قال نعم انه ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة فصل واعلم ان الذنوب ينقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد والاول اما مغفور واما مرجو المغفرة قال امير المؤمنين عم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه قيل يا امير المؤمنين عم فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم واكرم من ان يعاقب عبده مرتين واما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا برز لله الخليقة اقسم قسما على نفسه

فقال وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفا بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لاحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فاصبح خاشعا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب ولعله عم اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة للشرائط مقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفورة وبقسمة ثانية تنقسم الذنوب الى صغائر وكبائر قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال النبي صلعم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر واختلفت الروايات فيها فعن الصادق عم في قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال الكبائر التي اوجب الله عليها النار وعنه عم انه سئل عن الكبائر فقال هن في كتاب علي عليه السلام سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين واكل الربوا بعد البينة واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال اليتيم ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال ترك الصلوة قيل فما عددت ترك الصلوة في الكبائر فقال اي شيء اول ما قلت لك قال الكفر قال فان تارك الصلوة كافر يعني من غير علة وعن الكاظم عم انه سئل عن الكبائر كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته اذا كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين واكل الربوا

والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعن
الجواد عم قال سمعت ابي يقول سمعت ابي موسى ابن جعفر يقول دخل
عمرو بن عبيد على ابي عبد الله عم فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله عم ما اسكتك
قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله فقال نعم يا عمرو اكبر الكبائر
الاشراك بالله يقول الله انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و
بعده الاياس من روح الله لان الله جعل العاق جبارا شقيا وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه جهنم خالدا
فيها الى اخر الآية وقذف المحصنة لان الله عم يقول لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم لان الله عم يقول يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير واكل الربوا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسحر لان الله يقول ولقد
علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق والزنا لان الله عم يقول
ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه
مهانا واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول لان الله
يقول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة
لان الله يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وشهادة الزور لان الله
يقول

يقول من يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان
وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله لان رسول الله صلعم قال من ترك
الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله ونقض العهد وقطيعة
الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ
من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم ان قيل
كيف ورد الشرع بما لم يبين حده قلنا ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا
جاز ان يتطرق اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث
انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة باساميها وانما حكم الكبيرة ان
اجتنابها يكفر الصغائر وان الصلوات الخمس لا يكفرها وهذا امر يتعلق
بالاخرة والابهام اليق حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن
على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب الكبائر ثم اجتناب
الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن
من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان
مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه
على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان امتناعه لعجز او خوف
او نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر ولو ابيح له لما شربه
فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي
والاوتار فصل اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة

قال الصادق عم لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار مثال ذلك
قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء
لو صب عليه دفعة لم يؤثر وقال الباقر عم في قوله تعالى ولم يصروا على
ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر
فلا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر
الذنب فان العبد كلما استعظمه من نفسه صغر عند الله و
كلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب
عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره
يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب و
القلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات
ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق عم قال
رسول الله صلعم اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر
قيل وما المحقرات قال صلعم الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى
لي لو لم يكن غير ذلك وقال الصادق عم ان الله يحب العبد ان يطلب
اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف بالجرم اليسير
وقال الكاظم عم لا تكثروا لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل
الذنوب فان الذنوب تجتمع حتى تكون كثيرا وخافوا الله في
السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور بالصغيرة
والتبجح

والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة
فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها
في تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر
الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتأسف
بسبب غلبة العدو وظفر الشيطان به وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون
بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد
بالامهال اثما فيظن انما تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك
لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا
يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان يأتي
بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية
منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر لمن اسمعه ذنبه او
اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف
الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت
جناية رابعة وتفاحش الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه
ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه
النعمة قال الرضا عم قال رسول الله صلعم المستتر بالحسنة تعدل
سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له
وقال الصادق عم من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فلا تحجبوه ومن

ومن جاءنا يبدي عورة قد ستره الله عليه فضحه ومنها ان يكون المذنب عالما
يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم
والذهب واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو ذلك
فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم
فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما
ترك الذنب والآخر اخفاؤه كما يتضاعف اوزاره فكذلك يتضاعف
ثوابه على الحسنات اذا اتبع فصل في احاديث النبوة ما من يوم
طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات
يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذا خلقوا
علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا
بما علموا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا و
قال امير المؤمنين ع لا تبدين واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة
ولا تأمن البيات وقد عملت السيئات وعن الباقر ع ان الله
قضى قضاء حتما ان لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث
العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة وعنه ع ما من شيء افسد للقلب
من خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه
فيصير اعلاه اسفله وعنه ع ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه
الرزق وعن الصادق ع اما انه ليس من عرق يضرب

ولا نكبة

ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك قول الله تع في كتابه وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال الصادق ع وما يعفو الله
اكثر مما يؤاخذ به وعن الصادق ع ان الرجل يذنب الذنب فيحرم
صلوة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في
اللحم وعنه ع يقول الله تع ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر
[illegible] شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وعنه ع من هم
بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب
تبارك وتع فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك ابدا وعن
الكاظم ع حق على الله ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى
تطهرها وقال رسول الله ص ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه
مائة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن وعن امير المؤمنين
ع انه قال لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار
ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان
اولها الندم على ما مضى الثاني العزم على ترك العود عليه ابدا الثالث
ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة
والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها و
الخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان
حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس

ان يذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله وقال
عم ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة فكم من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا
والموت فضح الدنيا ولم يترك لذي لب فرحا فصل في مصباح الشريعة
قال الصادق عم التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة
التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب
السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس
وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل
واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه
هنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف
بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره
ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف
على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه على الشهوات ويستغيث الى
الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف ويروض
نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت من الفرائض ويرد
المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته و
يستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه ويثبت عند
المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة
من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل وليعلمن

الله الذين

الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين الباب الثاني في المحاسبة والمراقبة قال الله عز
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال
يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد
وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات
واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة
وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في
الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة
حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه
دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته وقال
الصادق عم اذا اراد احدكم ان لا يسال ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس
كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا
الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان للقيمة خمسين موقفا

كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فتصريحه بالمحاسبة
على الامر بالياس من الناس والرجاء من الله يدل على ان الناس انما يرجو الناس
منه دون الله في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان عامة المحاسبات انما يرجع الى
ذلك وذكر الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على
ان الوقفات هناك انما يكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا
يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تع ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وورد في الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة
يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم لو لم تكن للحساب
الا مهولة العرض على الله عز وجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات يحق للمرء
ان لا يهبط الا من رؤس الجبال ولا ياوي الى عمران ولا يشرب ولا ينام الا عن
اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيمة باهوالها وشدائدها
قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ ياخذ نفسه
بالمحاسبة كانه على عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسئول قال الله عز وجل وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فصل في معنى المحاسبة
ان يطالب العبد نفسه اولا بالفرايض التي هي بمنزلة راس ماله فان اداها
على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها
طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان
ارتكب معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى منها
ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب

الدنيا

يطالب

الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والزيادة حتى لا يغبن في شيء
منها فينبغي ان يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها
اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب
ما سيتولى غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه
وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا
عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق فيه كان ذلك
القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما
يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس الغريم يمكن ان يستوفى
منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه و
بعضها بالعقوبة له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب
وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة
والاستيفاء قال الكاظم عم ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم
فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب
اليه وقال الباقر عم لا يغرنك الناس من نفسك فان الامر يصل اليك
دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك
فاحسن فاني لم ار شيئا احسن دركا ولا اسرع طلبا من حسنة محدثة
لذنب وقال الصادق عم ان رجلا اتى النبي صلعم فقال يا رسول الله اوصني
فقال له رسول الله صلعم فهل انت مستوص ان انا اوصيتك حتى قال له

ذلك ثلاث مرات كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله فقال له رسول الله صلعم فاني
اوصيك اذا انت هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا فامضه وان يك
غيا فانته عنه وهذه الوصية من محاسبة النفس بل من راسها فصل ينبغي
للعبد ان يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة
فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة وسكون وذلك
بان يعلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد
قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان
ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك قال الله تعم الم يعلم بان الله
يرى وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال النبي صلعم الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ويحكى ان زليخا لما خلت بيوسف عم
قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد
ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وفي الحديث القدسي انما يسكن جنات
عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انحنت اصلابهم
من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع
والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب فهذه المعرفة اذا صارت
يقينا اعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرت
القلب فقهرته على مراعات جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه والموقنون
بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احديهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم
والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت

الهيبة

الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا
وكفاه الله ساير الهموم والثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم
غلب على اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال و
الجمال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الالتفات الى الاحوال
والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله ولا يقدمون ولا
يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم
يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة فان العبد لا يخلو
اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص
والاكمال ومراعات الادب وحراستها عن الافات ومراقبته في
المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر و
مراقبته في المباح بمراعات الادب بان يقعد مستقبل القبلة وينام
على اليمين مستقبلا الى غير ذلك فكل ذلك داخل في المراقبة
ويشهد المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلاء فان لكل ذلك
حدود الادب من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه

الباب الثالث في التفكر والتدبر

قال الله تعم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها وقال النبي صلعم تفكر ساعة خير من عبادة سنة
وقال امير المؤمنين عم التفكر يدعو الى البر والعمل به وقال عم نبه بالتفكر

عليك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك وقال الصادق عم افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذات الله سبحانه فانه ممنوع منه لانه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل بل المراد منه النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته واحاطته بالاشياء ومعيته لها وهذا تفكر اولى الالباب قال الله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال عز وجل ومن اياته في مواضع كثيرة فتلك الايات من مجاري التفكر في الله وفي قدرته لاولى العلم لا في ذاته سبحانه ففي الحديث المشهور عن النبي صلعم انه قال تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال الباقر عم اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه وقال الصادق عم من نظر في الله كيف هو هلك واما التفكر الذي يدعوا الى البر والعمل فهو اعم من هذا فانه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات فان العبد اذا تفكر في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة لها خالصة عن الشرك والشك او مشوبة بهما يدعوه

لا محالة هذا التفكر الى اصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله يدعوه ذلك الى الانتهاء عنها وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا تفكر في صفات الله وافعاله من لطفه بعباده واحسانه اليهم بسوابغ النعماء وبسط الالاء والتكليف دون الطاقة والوعد على العمل القليل بثواب جزيل وتسخيره له ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك لا محالة الى البر والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي وهذا تفكر المتوسطين واليه الاشارة بقول الرضا عم ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم انما العبادة التفكر في امر الله وسئل الصادق عم عما يروي الناس ان تفكر ساعة خير من عبادة قيام ليلة كيف يتفكر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوك اين بانوك وما لك لا تتكلمين وهذا التفكر المفسر به الحديث النبوي دون الاولين في الفضل ولعل الحديث النبوي اعم منه وانما فسره الصادق عم على قدر رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما يكون بحسب فهمه ورتبته وقد اوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين من اراد ان يرجع اليها

فصل في مصباح الشريعة قال الصادق عم اعتبروا بما مضى من الدنيا هل يبقى على احد وهل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو فكذلك ما لم يأت منها بما مضى اشبه من الماء بالماء قال رسول الله صلعم كفى بالموت واعظا وبالعقل

دليلا وبالتقوى زادا وبالعبادة شغلا وبالله مونسا وبالقران بيانا وقال صلعم
لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وما نجا من نجا الا بصدق الالتجاء و
قال نوح عم وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت
من الاخر هذا حال صفي الله فكيف حال من اطمان فيها وركن اليها واضاع
عمره في عمارتها ومزق دينه في طلبها والفكر مرآة الحسنات
وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق واصابة في صلاح
المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله
بمثلها وقال رسول الله فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة
التفكر الا من قد خصه الله بنور التوحيد والمعرفة وقال الصادق عم
ابن ادم لو اكل قلبك طاير لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة
لغطاه تريد ان تعرف بهما ملكوت السموات والارض ان كنت صادقا
فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملا عينيك منها
فهو كما تقول اراد عم بالقلب اللحم الصنوبري المعروف ولهذا جعله
ماكولا وظاهر انه لا يصح ان يعرف به ملكوت السموات والارض كما لا يصح
ان يعرف بالبصر لانهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت
فالخطاب خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد بني
ادم المشار اليهم بقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها فاما من
جاوزهما وبلغ الى درجة العقل والمعقول وهم اصحاب القلوب

الملكوتية

الملكوتية المشار اليهم بقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فلهم
ان يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات والارض لان قلوبهم من الملكوت و
لهذا حث الله تع على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه فقال سبحانه اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون وقال تع وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين الى غير ذلك من الايات بلى ان ذات الله
تع لا يجوز ان يكتنه بالقلب كما لا يجوز ان يدرك بالبصر بل انما يجوز ان
يطلع بالقلب على شيء من عظمته بحسب باب الرابع في ذكر الموت وقصر
الامل قال الله تع كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
وقال النبي صلعم اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال
الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا ولا في
شدة الا اتسعت عليه وقال الموت كفارة لكل مسلم وقال تحفة المومن الموت
وقال صلى الله عليه واله الموت الموت الا ولا بد من الموت جاء الموت بما فيه
جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لاهل دار الخلود
الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال اذا استحقت ولاية الله
والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر واذا
استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين

ودهب الاجل وراء الظهر وسئل امير المؤمنين اى الكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت
واشدهم له استعدادا وقال امير المؤمنين عم ما انزل الموت حق منزلته
من عد غدا من اجله وقال ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وكان يقول لو
راى العبد اجله وسرعته اليه لابغض العمل من طلب الدنيا وقيل للباقر
حدثنى بما انتفع به فقال اكثر ذكر الموت فانه لم يكثره ذكره انسان الا زهد
فى الدنيا وقال الصادق عم اذا حملت جنازة فكن كانك انت المحمول
وكانك سئلت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل فانظر ماذا تستانف ثم
قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودى فيهم بالرحيل وهم يلعبون
وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وفى
مصباح الشريعة قال الصادق عم ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس
ويقلع منابت الغفلة ويقوى القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر
اعلام الهوى ويطفى نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبى صلعم
فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عندما تحل اطناب الدنيا وتشدها
فى الاخرة ولا تشكن نزول الرحمة عند ذكر الموت بهذه الصفة ومن
يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه فى القبر وتحيره فى القيمة
فلا خير فيه قال النبى صلعم اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر تمام الحديث
كما مر ثم قال والموت اول منزل من منازل الاخرة واخر منزل من منازل
الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول باولها وطوبى لمن احسن مشايعته

فى اخرها

فى اخرها والموت اقرب الاشياء من بنى ادم وهو يعدّه ابعد فما اجرى الانسان
على نفسه وما اضعفه من خلق وفى الموت نجات المخلصين وهلاك المجرمين
لذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره قال النبى صلعم من احب لقاء الله احب
الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه فصل اعلم ان الناس اما منهمك
فى الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها واما تائب مبتدئ
او عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتاسف على
دنياه ويشتغل بمذمته ويفر منه اولئك الذين قال الله تعالى قل ان الموت
الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا الا ان يستفيد بذكر
الموت التجافى عن الدنيا ويتبغض عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته
واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية
فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة
وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت
قوله عم من كره لقاء الله كره الله لقاءه لان هذا ليس يكره الموت ولقاء
الله وانما يخاف موت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتاخر
عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد له لا يشغل له سواه والا
والا الحق بالمنهمك فى الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه
موعد للقاء حبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا

[illegible]

في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين
وينتقل الى جوار رب العالمين واعلا رتبة منهما من يفوض امره الى الله
فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة ولا شيئا بل يكون احب الاشياء
اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى درجة
التسليم والرضاء فصل اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة
الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب
فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه
فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا ذكر الموت الذي بين
يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة المخطرة او يركب البحر فانه
لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه و
عند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه
ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت
التراب ويتذكر صورتهم في مناصبهم واحوالهم وكيف تبددت
اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم
وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت
اثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه
حاله وكيفية حيوته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده و
امله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتات

الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته
عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد
والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف ينطق وقد اكل الدود
لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان
يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت
الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لا يحتسبه فانكشف
له صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند
ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وسعيد من وعظ بغيره
فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى
هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت
نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور
والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير
والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه
لا بد من مفارقته فصل واما قصر الامل فقد قال النبي صلعم
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح وخذ من دنياك لاخرتك ومن حيوتك لموتك
ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال علي ان اشد
ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى
فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا ثم قال الا ان الله

يعطي الدنيا من يحب ويبغض فاذا احب الله عبداً اعطاه الايمان الا ان
للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا
الا ان الدنيا قد ارتحلت مولّية الا ان الاخرة قد اتت مقبلةً الا انكم
في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس
فيه عمل وروي انه صلعم قال ذات عشية للناس فقال ايها
الناس اما تستحيون من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال
تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون و
روي ان اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدةً بمائة دينار
الى شهر فقال النبي صلعم الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان
اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت
ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت
اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمةً الا ظننت اني لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا
انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم
بمعجزين فصل اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل
والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلائقها اثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن
الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئاً دفعه عن
نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابداً ما يوافق

مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه
ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء
ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه
فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر
الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام
بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخاً واذا
صار شيخاً قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او
ترجع من هذه السفر او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير
مسكن او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك ولا يزال يسوف
ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة
اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل الى
شغل بل الى اشغال الى ان يختطفه المنية في وقت لا يحتسبها فيطول
عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزنا
من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معه غداً وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخاً ويظن انه يتصور ان
يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها
الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله

أحب بالحبة فانك واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه
فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده
لو عدوا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان
اكثر الى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت
لصحته ويستبعد الموت مفاجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان بعيدا
فالمرض فجاءة غير بعيد فكل مرض فانما يقع مفاجاة فاذا مرض لم يكن الموت
بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من
شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم
اشتغاله بالاستعداد له استشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحب
الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو
ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ويشيع
الجنازة ولا يقدر ان يشيع الجنازة لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو
موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع فاذا
وقع لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر واذا عرفت ان
سبب طول الامل الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع
بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء
العضال الذي اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان

باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل اليقين
بذلك ارتحل عن القلب حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو من القلب
حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت
الى الدنيا كلها فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر
منغص فكيف يفرح بها ويترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة
فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده الباب
الخامس في الاخاء والالفة قال الله تعالى في معرض الامتنان لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال عز وجل
فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال و
اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا وقال النبي صلعم اقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال المؤمن الف مالوف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وقال في الثناء على الاخوة في الدين من
اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال من
آخى اخا في الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال
ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت
محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي
وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال لا تباغضوا ولا تحاسدوا

ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحلّ لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث
وقال المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ
على صخرة استناخ وقال امير المؤمنين عم اعجز الناس من عجز عن اكتساب
الاخوان واعجز منه من ضيّع من ظفر به وقال النبي صلعم اوثق عرى
الايمان الحبّ في الله والبغض في الله والتولّي لاولياء الله والتبرّي
عن اعداء الله وقال السجاد عم اذا جمع الله الاولين والاخرين قام مناد
فنادى يسمع الناس فيقولون اين المتحابون في الله قال فيقوم عنق
من الناس فيقال لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب قال فتلقاهم الملائكة
فيقولون نحن المتحابون في الله قال فيقولون واي شيء كانت اعمالكم
قالوا كنا نحب في الله ونبغض في الله قال فيقولون نعم اجر العاملين
وقال الباقر عم اذا اردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان
كان يحب اهل طاعة الله ويبغض اهل معصيته ففيك خير والله يحبك
واذا كان يبغض اهل طاعة الله ويحب اهل معصيته فليس فيك خير
والله يبغضك والمرء مع من احب وقال الصادق عم ما التقى مؤمنان
قط الا كان افضلهما اشدهما حبا لاخيه وقال كل من لم يحب في
الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له فصل اعلم ان الحب في الله
والبغض في الله غامض وانما ينكشف الغطاء عنه بان يعلم ان الصحبة
تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب

الاجتماع في مدرسة او سوق او سفر او على باب السلطان او غير ذلك والى ما ينشأ اختيارا
ويقصد وهو الذي يبعث على الاخوة في الدين اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية
ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور
لا يقصد بها الانسان غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد
مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه
واما ان يحب ليتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا
على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى
فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته وذلك ممكن
وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته و
مشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله
وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة و
الملائمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون الصورة الظاهرة اعني
الخلقة واما ان يكون الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق
حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع
السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب
امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن
في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء
ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها وعنه عبّر رسول الله بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب
الذي عبر عنها بالتعارف ويدخل في هذا القسم المحبة للجمال اذا لم يكن المقصود
قضاء الشهوة حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح
المشوب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه
الحب لله بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن
بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما والا فهو مباح لا يوصف
بحمد ولا ذم القسم الثاني ان يحبه لينال منه في ذاته غير ذاته فيكون وسيلة
الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب ولذلك يحب الناس الذهب
والفضة من حيث انهما الوسيلة الى المقاصد ويحب خواصهم لتحسينهم حاله
عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوصل اليه ان كان مقصورا لفائدة دنيوية
لم يكن من جملة الحب في الله ثم ينقسم ذلك الى مذموم ومباح القسم الثالث
ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع
الى حظوظه في الاخرة وهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه
وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم
والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين لله وكذا من يحب تلميذه لانه
يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرتقي به الى درجة التعظيم
في ملكوت السماء وقد قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان
احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله بل نزيد ونقول

نزيد

من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته
في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى
المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من يخدمه بنفسه في
غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه
في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله القسم الرابع ان يحب لله وفي
الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات
وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من اثار غلبة الحب ان
يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب
انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه
واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه قال المجنون
امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا فاذن المشاهدة والتجربة تدلان على ان الحب
يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد ولكن ذلك خاصية فرط
المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب المحبة ثم اعلم ان من
يحب في الله لابد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع
لله ومحبوب عند الله فان عصاه لابد وان تبغضه لانه عاص فيه وممقوت
عند الله ويترشح بظهور انوار المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة

والموافقة والمخالفة فاذا طرق الفعل بين موالاة ومعاداة وروي ان الله اوحى الى
نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد
تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا وقال عيسى ع تحببوا
الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاء الله
بسخطهم قالوا يا روح الله من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته
ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله فصل قال الباقر ع
قام رجل بالبصرة الى امير المؤمنين ع فقال يا امير المؤمنين ع اخبرنا عن الاخوان
فقال الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة فاما اخوان الثقة
فهم الكهف والجناح والاهل والمال فاذا كنت من اخيك على حد الثقة
فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سره و
عيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها السائل انهم اقل من الكبريت الاحمر
واما اخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن
ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان
والكثر القسم لكاثره كشف له عن انيابه وقال الصادق ع قال امير المؤمنين ع
لا عليك ان تصحب ذا العقل وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع بكرمه بعقلك و
احترس من سيئ اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن
انتفع بكرمه بعقلك وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق وقال الصادق ع

عليك بالتلاد

عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق
وكن على حذر من اوثق الناس في نفسك فان الناس اعداء النعم وقال
ع الصداقة الا بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه
الى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة ا
فاولها ان يكون سريرته وعلانيته لك واحدة والثانية ان يرى
زينك زينه وشينك شينه والثالثة ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال
والرابعة ان لا يمنعك شيئا تناله مقدرته والخامسة وهي تجمع هذه
الخصال ان لا يسلمك عند النكبات وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
قد عز ثلثة اشياء في كل زمان الاخاء في الله والزوجة الصالحة
الاليفة في دين الله والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلثة فقد
اصاب خير الدارين والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تواخي من ارادك
لطمع او خوف او فشل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في
ظلمات الارض ولو افنيت عمرك في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق على
وجه الارض افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل
ما انعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا لا عيب فيه

بغير بلا تصديق الاثر لان اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند اظهار دعوتهم بتصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصفياءه واولياءه واعانهم بصحبة ابناء اخلائه وهو دليل على ان ما في الدارين نعمة اجل و اطيب واذكى من الصحبة في الله والمواخاة لوجهه خاتمة الكتاب

اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية وما اشرنا اليه من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار الاعمال الحسنة والسيئة فلما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح و التهذيب وهذا التوضيح والترتيب مع ابتنائها واخذ جملها على الاصول الاصلية التي لا اعتماد الا عليها ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واحاديث اهل بيت النبوة دون اراء الناس واصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولقد وفقني الله تعالى بجمعها وتاليفها في مدة اشهر قلائل من سنة تسعين والف الهجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان قد مضى من عمري ثلاث و ثمانون ونيف قليل وكان قد اكتنفني البأس اختلال الاحوال وتشتت البال من امراض وعلل جسمانية غير مرجوة الزوال وانما وفقني الله

لذلك بسبب

لذلك بسبب ما انعم الله به علي من العقايد الحقة وبما تفضل الله به علي من موالاة اوليائه و معاداة اعدائه بعد ان عرفني الله اولياءه واعدائه بوحي منه سبحانه الى رسوله صلعم وتبليغ رسوله الى عباده وتسليم كل بمعونته وارشاده واما فايدة هذا الجمع و التاليف وجدواه فهو ان يطلع عليه من كان من اهله ورزق التوفيق من الله ع وقوت همته وبلغ سعيه منتهاه فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه ومن كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره وهكذا الى من ينتفع به بشيء يسير ويوزن سنبلة من بيدر حصن كثير واما امثالنا من الذين يقولون ما لا يفعلون وينسون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون ففايدته في حقهم زيادة بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سببا لمقتهم انفسهم وذلهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفضايح غيوبهم وانزجارهم فان الايمان يقتضي ان لا يرضى العبد المؤمن لنفسه ما لا يرضى الله به مولاه فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والندم كثير الغم والالم فاذا كان كذلك يرجى له ان يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم وقد ورد ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة و ما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار والاعتراف بالذنب كفارة له ومن اذنب ذنبا فعلم ان الله مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له غفر الله له وان لم يستغفر ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى به القلم ومن اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ومما ادعيناه اظهرناه من العلم والبصيرة وهو بعد من الله

مع التقصير فيه ومن كل علم وعمل وتعظناه وجهه الكريم ثم خالطه غيره ومن كل وعد
وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ومن كل نعمة انعم الله بها علينا
فاستعملناه في معصيته ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير
مقصر كنا متصفين به ومن كل خطرة دعتنا الى تضييع وتكلف تزيينا للناس
في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ثم نرجع اليه بعد
الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه
ان يتفضل علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات فان
الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلق فايض ونحن
خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه والطير والبهايم والهوام
منها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها
عباده يوم القيمة الهي درست الامال وتغيرت الاحوال وكذبت الالسن
واخلفت العذاب الا عفوك فانك وعدت مغفرة وفضلا اللهم صل
على محمد وال محمد واعطني من فضلك واعذني من الشيطان الرجيم سبحانك
وبحمدك على حلمك بعد علمك واكرمك احصاء المحصين وجل طولك
عن وصف الواصفين كيف لولا فضلك حلمت عمن خلقته من نطفة ولم يك
شيئا فربيته بطيب رزقك وانشاته في تواتر نعمك ومكنت له في مهاد
ارضك ودعوته الى طاعتك فاستجد على عصيانك باحسانك وعبد غيرك
في سلطانك كيف لولا حلمك امهلتني وقد شملتني بسترك واكرمتني بمعرفتك
واطلقت لسانى بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلتني المسالك

لاكرامك واحضرتني سبيل قربتك فكان جزائك مني ان كافاتك عن الاحسان
بالاساءة حريصا على ما اسخطك منتقلا فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا
الى ما ابعد من رضاك مغتبطا بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل لم يقنعني حلمك
عني وقد اتاني توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم الخطيئة استزيدك
في نعمك غير متاهب لما قد اشرفت عليه من نقمك مستبطا لمزيدك ومتسخطا
لميسور رزقك مقتضيا جوائزك بعمل الفجار كالمراصد رحمتك بعمل الابرار
مجتهدا اتمنى عليك العظائم كالمدل الامن من قصاص الجرائم فانا لله وانا اليه
راجعون مصيبة عظم رزؤها وجل عقابها بل كيف لولا املي ووعدك الصفح
عن زللي ارجوا اقالتك وقد جاهرتك بالكبائر مستخفيا عن اصاغر خلقك فلا
انا راقبتك وانت معي ولا انا راعيت حرمة سترك علي باي وجه القاك
وباي لسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها وقد جعلتك
علي كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني والي فقري فلم
اجب فوا سوأتاه وقبيح صنيعاه اية جرئة تجرأت واي تغرير غررت نفسي
سبحانك فبك اتقرب اليك وبحقك اقسم عليك ومنك اهرب اليك
بنفسي استخففت عند معصيتي لا بنفسك وبجهلي اغتررت لا بحلمك وحقي
اضعت لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت وبك امنت
واليك انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي لحر وجهي
وحيرتي في سواة ذنوبي انك ارحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين لله ومصلين
نبيه واهل بيت نبيه عليه وعليهم الصلوة والسلام والحمد لله اولا واخرا قد

هذه المقالة من نسخة كتبت من نسخة التي كتبها المصنف روّح الله رمسه و
ارسلها الى القم لاستكتابها ورقم المصنف بعد ختم الرسالة هذه المقالة
وقد وقع الفراغ في يوم الثلثاء من احد وعشرين شهر جمادى الثاني ١٢٤٢ بيد اقل الطلبة
الحقير الفقير الجاني الفاني علي محمد بن ... ابو الحسن الاردكاني اليزدي غفر الله لهما
وللمؤمنين والمؤمنات امين رب العالمين والتمس من الاخوان الذين
يذاكرونه وينتفعون منه ويدارسونه ان يستغفروا له ولوالديه واخوانه
التمس من الله ان يغفر لهم ويدخلهم الجنة ١٢٤٢

وقف نمود ... [illegible]

وطالب ... علویه ... صدر ... آقا علی مدرس [illegible]

[illegible]

فی شهر رجب المرجب ١٣١٥



الفرق بين الضد والنقيض ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم
والوجود والضدين لا يجتمعان لكن يرتفعان كالسواد مع البياض والفرق
بين الرفع والدفع ان الرفع بعد وجود الشيء والدفع قبل وجود الشيء
الفرق بين الواحد والاحد ان الاحد اسم لا يشاركه شيء في ذاته والواحد
اسم للمشاركة شيء في صفاته الفرق بين المشابهة والمشاكلة ان المشابهة
تقع في المحسوسات وغيرها والمشاكلة لا تقع الا في المحسوسات